الترحيب بنقد التأنيب

محمد زاهد الكوثري

الناشر مكتبة الخانجي

الترحيب بنقد التأنيب

بقلم

محمد زاهد الكوثري

وكيل مشيخة الاسلاميه فى الخلافة العثمانية سابقاً

عفى عنه

الناشر مكتبة الخانجي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المبدئ المعيد ، الفعال لما يريد ، المجازي للعبيد ، بما هم أهل له من نعيم مقيم أو عذاب شديد ، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين . وآله وصحبه الهادين المهديين ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، وسائر أئمة الهدى المتبوعين ، رضي الله عنهم أجمعين .

أما بعد فهذه رسالة كتبتها في هذه المرة ، وسميتها (الترحيب بنقد التأنيب) للتحدث عن كتاب صدر في هذه الآونة بعنوان : طليعة التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل . تأليف العلامة المفضال المحقق عبد الرحمن[1] بن يحيى المعلمي اليماني حفظه الله ورعاه . بتعليق الأستاذ الفاضل الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة[2] المعروف في البيئات الحجازية والمصرية المعلق على مجموعة حوت رسالة رأس الحسين رضي الله عنه لابن تيمية وغيرها من الرسائل ونشرت في هذه الأيام أيضاً على نفقة الوجيه الثري محمد نصيف[3] عين أعيان جدة ، الساعي في نشر ترجمة أبي حنيفة

---

(١) وهو من أفاضل المصححين في دائرة المعارف بحيدرآباد الدكن بالهند (ز) .

(٢) من أعوان ناشر نقض الدارمي المطبوع قبل سنين المحتوي على تجويز استقرار الله جل شأنه على ظهر بعوضة فضلاً عن عرش العظيم وإثبات الحد والمكان والجلوس والحركة والصوت ونحوها من لوازم الجسمية لله جل شأنه : [illegible] حق و الخلق منه (ز) .

(٣) وهو تولى نشر كتاب السنة المنسوب للإمام عبد الله بن أحمد المحتوي على إقعاد الله جل شأنه رسوله على العرش معه ، والطواف لله جل جلاله في الأرض [illegible] المسلمين ، ومرور الخلائق على الله في [illegible]

من تاريخ الخطيب فى الهند قبل طبع هذا التاريخ بمصر بسنين مع ترجمتها الهندية تيسيراً لانفضاض أهل الهند من مذهبه السائد بين ثمانين مليونا من مسلمى تلك الديار ، ومثل هذا الثرى المنفق بسخاء فيما هو فى سبيله لا يتصور أن يتقاعس عن الإنفاق فى طبع كتب الرد على (تأنيب الخطيب) تلافيا للخطر الداهم من هـذا الـكتاب الذى كان وقف دون ذلك الأمل فى كل مكان ، فيعلم بذلك بادئ ذى بدء فى أى فلك تدور هذه الطليعة الطالعة ، خاضعة خانعة فمررت بها فعلمت أن لمؤلفها الفاضل اشتغالاً بتأليف كتاب سماه (النقد البرى لتأنيب الـكوثرى) وقد رتبه على أربعة أبواب وخاتمة ، فبالنظر إلى تقدمة المؤلف يعلم أن هـذا الـكتاب قد كملت الأبواب الثلاثة الأول منه وأكثر الرابع ويرجو أن يتم الباقى قريبا بإذن الله تعالى ويظهر من الطليعة أيضاً أن تأليفه التنكيل بما فى تأنيب الـكوثرى من الأباطيل على وشك التمام ، وأنه مرتب على أربعة أقسام . وعلى كل حال أشكر الأستاذ الناقد على اهتمامه بنقد التأنيب ، وإن تأخر زمن النقد عن زمن نشر الـكتاب بثمانى سنوات ، مع أن دائرة المعارف العثمانية التى يشتغل الأستاذ الناقد مصححا للـكتب فيها من أوائل الجهات التى كان التأنيب وصل إليها بعيد نشره سنة ١٣٦١ هـ مباشرة ، وكان عنده متسع كبير لنسف ما كتبه هذا العاجز نسفا ، لـكن أخرهُ إلى اليوم تكرما وعطفا ، هـذا من جهة ، ومن جهة أخرى أرى على (طليعته) الصادرة فى هذه الأيام طابع الاستعجال ، لتحدثها

= على جهنم إلى غير ذلك من معتقدات سلفهم ، وهو الذى أنفق أيضا على طبع رسالة على القارى فى والدى النبى صلى الله عليه وسلم بعد أن قبر ما انطوت عليه من الرأى الهالك بردود أهل العلم ، وفى (رأس الحسين) ما يحسن الاطلاع عليه لتعرف غايته من نشاطه الجديد (ز) .

عن تأليف وتأليف متشابهين لم يتم تأليفهما بعد ، ولإعلانها عما لم يتم إلى الآن تأليفه ، ونحن فى انتظار صدورهما لننتفع بفوائدهما و بالتحقيقات التى أودعها فيهما ذلك الأستاذ المحقق ليصل إلى غايته التى ينشدها فيما هو بسبيله ، ومع ذلك لست أدرى سر هذا التعجل ، بعد ذلك التمهل بشطر الكتاب شطرين متشاكلين و إطلاع الطليعة قبل إعداد العدة التى تستند المقدمة إليها ، وعلم ذلك عند علام الغيوب ، المطلع على كوامن القلوب ، و يرى بعضهم أن السر فى ذلك أن الأستاذ اليمانى ترفق به بعض من علم تكدر نمير ارتفاقه هناك فدله على معين لا ينضب ، وأرشده إلى جدى ثرى ينفق بسخاء فى هذا السبيل منذ قديم فأوى إلى هذا الركن الوثيق ، وسلك هذا الطريق ، فوضع نماذج من عمله تحت تصرف هذا الثرى النبيل ، والسيد الأصيل ، وللإنسان الخيرة فيما يختاره لنفسه ، لغده قبل أن يغيب فى رمسه ، و يحاسب على ما اقترفه فى أمسه . فدخلت النماذج تحت تصرف الناشر ، منبتة عن أخواتها التى بقيت وراء الطليعة فى المؤخرة ، وهذا هو سر هذا التعجل ، بعد ذلك التمهل . على رأى ذلك المفكر ، وأما عندى فربما يكون هذا الناقد من اللا مذهبية الحدثاء الذين يضللون أتباع أئمة الهدى المتبوعين ، رضى الله عنهم أجمعين ، كما هو منهج الشوكانى فى تفسيره ، فيكون عمله هذا مرحلة من مراحل برنامجه المرسومة ، وعما قريب يكشف عن اتجاهه الستار بأكثر مما كشف ، فلعله رأى أن الانتظار ، إلى أن يصفو الجو مما يستنفد الاصطبار ، تهور وغامر واستخفه الاغترار ، والواقع أنه لا يهمنى لا هذا التعجل ، ولا ذلك التمهل كائنة ما كانت أسبابهما ودوافعهما ، لأنى أعلم جيداً أن الباطل زاهق فى كل مكان ، والحق لا يعدم نصيراً فى كل زمان ، وأن نصير الباطل صريع

مخذول ، وعدو الحق هالك مرذول ، فعلى المرء أن يقوم بواجبه فى كل وقت ، والنجاح إلى الله سبحانه ، وليس بيد العبيد .

وقد وقعت على أشياء كثيرة من إرهاصات تلك الطليعة مما زادنى تبصراً ، وكان المعروف من اليمانيين لين الجانب ، وسمو الخلق ، ورقة الطبع ، واللطف البالغ والابتعاد عن الاقذاع والبذاء ، ومع ذلك أرى بين ثنايا كلمات هذا المؤلف عبارات نابية ، فرأيت تسجيلها هنا باسم الأستاذ الناقد ، لتكون معايير يتعرف بها مبلغ أدب هذا المناظر فى الجدل العلمى ، إلى أن يتبرأ منها فيثبت أنها من المعلق المعروف اللهجة منذ قديم أو من الطابع الجديد ، المنحاز إلى السلفية الحاضرة ، والمنضوى تحت رايتهم حديثا فى سبيل الارتفاق ، والناس معادن ، فمن تلك الكلمات النابية والشطحات الباردة قوله : لا يضر السحاب نبح الكلاب .

وقوله : ولو ألقمت كل نابح حجراً . . . ، وقوله : كاليهود الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض بغيا وهوى ، وقوله : فاحتج بالحرف المعلوم تحريفه اقتداء سلفه اليهود ، وقوله : المثل العامى المصرى (كلم القحبة تدهيك ، وتجيب اللى فيها فيك) ، وقوله : أساتذته اليهود ، وقوله : قد ثبت عليه أنه يحرف الصحيح متعمداً فكيف لا يتعلق بخطأ يوافق هواه ويشفى غيظه ممن هدم صنمه ، — والصنم عند هذا الناقد هو الامام الأعظم فقيه الملة الأوحد وهادمه فى نظره نذل من البهاتين — إلى غير ذلك من كلمات تشف عن سجايا الناطق بها ، ويجب أن يعلم هذا الباهت المتهافت أن الكوثرى ليس ممن يجرى على لسانه نبح الكلاب ، ولا تهاذر القحاب ، ولا النبز باليهودية فى الخطاب ، للأضداد والأحباب ، ومع هذا كله يصف ذلك الأستاذ الرشيد هذا العاجز فى ثنايا كلامه ببالغ التيقظ ، وسعة الاطلاع وانتباه لا يمكن معه أن يهم فى شىء ، وفطنة تجتلى أخفى الخفايا ، وكاد أن يجعلنى

هكذا فوق مستوى البشر من هذه النواحي ليصل بذلك إلى أن الكوثرى أقام كذابين مقام ثقات فى أسانيد المثالب لاواهما من اتفاق الاسم واسم الأب بين الفريقين بل قاصداً يعلم أن هذا الشخص المذكور فى السند ليس ذلك الكذاب ويذكرنى بأنى ممن برأه الله من أن يهم فى شىء ، تأكيداً للذم بما يشبه المدح ، ليضعنى موضع الباهت المتقصد ، والمحرف المبدل عمداً فى نحو عشرة مواضع من كتاب التأنيب ، وهذا حكم غيبى يتبرأ منه كل من يخاف الله عز وجل ويراقبه فى الأقوال والأعمال ، ومن عجيب أمر هذا الأستاذ اليمانى محاولته أن يقف منى موقف ذلك الألمعى الذى يظن بك الظن كأن قد رأى وسمع ، متكهنا فى طرق بحثى وتنقيبى ، وجازما بما يلهمه هواه المجرد رجما بالغيب ، ولو كان عنده بعض إنصاف لما كان يحاول أن يتحكم على الغيب بهواه ، بل كان يقول : إن كتاب التأنيب فى نحو مائتى صفحة كبيرة ، وكل صفحة منها تحتوى على نحو ثلاثين اسما من أسماء الرواة ، وإن الوهم مما لا يخلو منه باحث ، والوهم فى نحو عشرة مواضع من بين تلك الأسماء الكثيرة شىء لا يذكر فى جنب تلك الكثرة ، فأرد عليه رد المصيب على الغالط المتوهم ، لا رد المستيقن على الغاش المجرم ، على فرض أن هذا الناقد صادق الحدس فى التوهيم فضلاً عن أن تصدق هواجسه فى التأثيم ، ولا سيما فى مثل متون تلك الأخبار ، البادى فى أول نظرة سقوطها للأنظار ، لمصادمتها الحقائق المستقرة فى نفوس المسلمين بشأن الائمة فقهاء الأمة ، ولما فيها من شواهد تقضى بذلك السقوط قبل البحث فى الرجال ، لكن الأستاذ اليمانى الناشىء فى معترك النحل ، تظاهر بغير مخبره حيث تحكم عليه الهوى فأخذ يحاول توثيق رواة المثالب فى كتاب الخطيب ليقتلع بعواصف المثالب ، الامام الأعظم ، من مقامه الأشم ، غير ملاحظ أنه سابق الائمة ، ومقتدى معظم الأمة ، وليس

الذين ائتمنوه فى دين الله بمنزلة الحيارى الضلال على توالى القرون كما يريد أن يصورهم كذلك ذلك القلم المفتون ، وزعمه أنه لا يحمل ضغينة ضد فقيه الملة مع تفانيه فى تدعيم المثالب الظاهرة السقوط يكون من قبيل التبرى من النتيجة الحتمية بعد الاعتراف بمقدمتى القياس الصحيح المنتج لتلك النتيجة ، و بعد هذا التمهيد أتحدث فيما يعيد الحق إلى نصابه ، و يصفى الجو من عثير عثار ذلك الناقد فى كتابه ، بإذن الله عز شأنه ، ولا إله غيره ، فى مقدمة وفصلين ومن الله التوفيق .

المقـــدمة

فى الأحداث التى اكتنفت نشر تاريخ الخطيب فى القاهرة . كان كثير من الطوائف فى الشرق والغرب يرغبون فى نشر هذ التاريخ ، و يبدون مؤازرتهم لمن يقوم بطبعه من كل ناحية على اختلاف أغراضهم فاتفق جماعة على القيام بطبعه ، وأعدوا العدة لذلك ، وبدأوا فى العمل ، ولما نجز طبع الكتاب إلى آخر الجزء الثالث عشر ، وعرض للبيع ، رأي الأزهر الشريف أن فى ذلك أكبر اهانة للامام الأعظم لما حواه من أكاذيب ظاهرة ضد فقيه الملة مما يأبى السوقة من النطق به فى أى شخص فضلا عن مثله مع جلالة قدره عند المسلمين منذ قديم ، واعتراف الجميع بخدماته العظيمة فى الدين ، وجريان القضاء الشرعى بين المتقاضين فى المحاكم الشرعية على مذهبه فى أغلب بلاد المسلمين على تعاقب السنين ، فصدر الأمر من وزارة الداخلية المصرية بمصادرة ، المجلد الثالث عشر الذى فيه تلك الجريمة بشأن الامام الأعظم ، وفق اشارة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر إذ ذاك ، فنفذ الأمر حتى هزت هذه المصادرة القائمين بطبع هذا الكتاب الضخم هزاً عنيفا فسعوا بكل ما عندهم من حول وطول فى إنقاذ الموقف إلى أن التزموا بما ألزموا به من اعادة طبع الجزء المذكور بتعليق لجنة من علماء الأزهر يرأسهم المفتى الأكبر وموافقة شيخ الجامع الأزهر على التعليق المعروض عليه ، مع التزام الطابعين طبع رد الملك المعظم عيسى الأيوبى على الخطيب كملحق حسب ما ألزموا أيضا بذلك ، وقام الطابعون بالتزامهم ، فخاب أمل الفاتنين من اللامذهبية والمتسلفين ، وهكذا

أعيد الحق إلى نصابه بعض إعادة ، وكان للأزهر الشريف الحق الصريح فى إلزامهم بذلك ؛ لأنه الحارس الشرعى للفقه الاسلامى منذ قديم ، فقام بواجبه فى استكمال الرد على الشاطح الأثيم .

فمن يرى : (أنه لم يظهر لأحد من ائمة الإسلام المشهورين مثل ما ظهر لأبى حنيفة من الأصحاب والتلاميذ ، ولم ينتفع العلماء وجميع الناس بمثل ما انتفعوا به و بأصحابه فى تفسير الأحاديث المشتبهة والمسائل المستنبطة والنوازل والقضاء والأحكام) كما فى الخيرات الحسان لابن حجر الهيتمى الشافعى ، ومن يقول : (إن العلم براً و بحراً ، وشرقا وغربا ، بعداً وقرباً تدوينه رضى الله عنه) كما يقوله محمد بن اسحاق النديم على تشيعه واعتزاله ، ومن يرتئى : (أنه ما كان شطر هذه الأمة من أقدم عهد إلى يومنا هذا يعبدون الله تعالى على فقه هذا الامام لو لم يكن لله سر خفى فى ذلك) كما هو معنى ما فى جامع الأصول للمجد بن الأثير الشافعى ، ومن يعتقد (أن الطاعنين عليه إما حساد أو جاهلون بمواقع الاجتهاد) كما يقوله ابن عبد البر المالكى فى الانتقاء ، والنجم الطوفى الحنبلى فى شرح روضة ابن قدامة الحنبلى ، وعقود الجمان لمحمد بن يوسف الصالحى الشافعى ، وتنوير الصحيفة للجمال ابن عبد الهادى الحنبلى وغيرهم من العلماء المبرئين من التعصب الذميم يستنكرون عمل الخطيب غاية الاستنكار ، و يجلون قدر الإمام الأعظم غاية الإجلال و يكبرون فضله غاية الإكبار ، و إنما يعاديه و يسعى فى تقوية زائف الحكايات من هو من أهل التشبيه المعادين لأهل التنزيه و بعض القدرية والجبرية وسائر المبتدعة واللامذهبية التى يروقها إحلال القوانين الوضعية مقام الأحكام الفقهية المتوارثة ، و بعض الطامعين

فى مناصب قضائية لم ينالوها لانحصارها فى أصحابه ـ رغم رغبته ـ فى كثير من الدول قديما وحديثا ، كما يظهر ذلك عند مدارسة أحوال الطاعنين فى الامام الأعظم والهمام الاقدم رضى الله عنه ، ولم يدر هؤلاء المساكين أنه لا حيلة لهم فى خفض من رفع الله قدره على ممر الدهور ، حتى يقفوا عند حدهم بأنفسهم فلنطمئنهم على أن أقلام أصحابه وأتباعه ومقدرى فضله مرهفة فى المشارق والمغارب فى كل زمان لوقف المتطاول عند حده فليجرب من تحدثه نفسه بالتطاول حظه من ذلك متى شاء والله بصير بما يعملون .

الفصل الأول

فى بيان الباعث لحملات المتهجمين من النقلة على أبى حنيفة وأصحابه من آراء رسخت فى أذهانهم معتقدين أن مخالفتها زيغ وضلال ، وأن أبا حنيفة وأصحابه يخالفونها ، وإيضاح طرق بحثى وتنقيبى عن علل أخبار المثالب الظاهرة السقوط ، مع شرح طريقة الأستاذ الناقد فى محاولة تقوية رواية المثالب تركيزاً لها فى أكتاف أبى حنيفة ليسقط من مقام القدوة لمعظم الأمة المعترف له بذلك عند أهل العلم منذ قديم ، وعند الإلمام بمباحث هذا الفصل لا تبقى حاجة للقارىء الكريم إلى الوقوف كثيراً عند هجمات الأستاذ اليمانى المنقولة فى الفصل الثانى . فمن أسباب حملات النقلة قديماً الرأى الذى يعزى إليه أبو حنيفة وأصحابه ، مع أن رأيهم فى غير المنصوص مستمد من النصوص برد النظير إلى النظير ، وهو طريقة فقهاء الصحابة والتابعين كما تجد أسانيد ذلك فى (بيان جامع العلم وفضله) لابن عبد البر وفى (الفقيه والمتفقه) للخطيب نفسه ، فضلا عما أفاض فيه أبو بكر الرازى قبلهما فى (الفصول) والإتقانى فى (الشامل) بعد هؤلاء ، فمن عد الرأى المستمد من الكتاب والسنة فى النوازل زيغاً فقد خالف جمهور فقهاء الصحابة والتابعين وجهل ما عليه الفقهاء ، وأخلد إلى أرض الجمود ، ومنها عدم عد أبى حنيفة العمل ركناً أصلياً من الإيمان حذراً من إكفار الأمة جمعاء بمجرد إخلال بعمل ، وهو أيضاً مقتضى الكتاب والسنة كما تجد بسط ذلك فى كتب أهل الشأن وفى التأنيب نفسه وعد ذلك إرجاء وزيغا ظلم وعدوان ، فلا يكون نبذ رواية من لا يقول : (الإيمان قول وعمل يزيد وينقص) معتمداً على أساس سليم ، وعند من يرى أن العمل من كمال الإيمان لا يكون فى الأمر خلاف يوجب إساءة القول فى أحد من الفريقين ،

ومن أصر على أن العمل ركن أصلى من الإيمان بحيث إن من أخـل شىء من العمل يكون قد أخل بالإيمان ، فهو فى سبيل الانحيار إلى المعتزلة أو الخوارج شاعراً أو غير شاعر ، مع أن المغـالاة فى الجرح بهذا السبب فى غاية الـكثرة فى كتب الجرح لأناس لا يميزون بين الهدى والضلال فى مسائل الخلاف ، فيـكون طعنهم على أبى حنيفة وأصحابه برميهم بالإرجاء ممـا يرتد إلى الطاعنين كطعنهم بالرأى ، ومنها الاستثناء فى الإيمان . وأغلب النقلة يعدون من لا يستثنى فى الإيمان زائغاً مع أن أبا حنيفة وأصحابه يرون أن قول المؤمن (أنا مؤمن إن شـاء الله) لا يصح إلا إذا أراد المآل دون الحال ، لأن العاقبة مجهولة فيصح الاستثناء بهذا الاعتبار ، لـكن إذا أراد الحال يكون شاكا غير جازم ، والإيمـان غير محتمل للنقيض أصلا بل المتعين هو الجزم والبت ، ومع ظهور هذا يحتد بعض النقلة فيمن لايستثنى فى الإيمان و يقول (أنامؤمن حقاً) فيعده مرجئا فلا يكون لمثل هذا الطعن قيمة فى إسقاط المطعون كماهوظاهر ، ومنها إكفارمن لايزيد على قوله (القرآن كلام الله) وقوفا عندما وقف الكتاب والسنة وحسما للنزاع القائم إذ ذاك ، لا شكا فى حدوث ما بأيدينا ولا فى قدم علم الله ، ومنهـا إطلاق القول بإكفار من يقول (القرآن مخلوق) من غير استيضاح لمراده من ذلك : هل مراده القرآن فى علم الله القائم بالله كما يقول الإمام أحمد (القرآن من علم الله وعلم الله غير مخلوق) أم القرآن فى ألسنة التالين ومصاحف الخطاطين وأذهان الحفاظ فالأول غير مخلوق جزما والثانى مخلوق حتما عند أهل الحق . فيكون إطلاق القول بإكفار القائل بخلق القرآن مع كون مراده هو الثانى تهوراً مردوداً ، و إن زلقت قدم ابن قدامة صاحب المغنى فى ذلك فى مناظرة له مع بعض الأشاعرة وادعى قدم الثـانى ، ومنها الإكفار أو التبديع بقول القائل (لفظى بالقرآن مخلوق) بدون الاستكشاف عن مراده . هـل أراد

بلفظه لفظه الذى هو فعله أم القرآن فى علم الله المحكى عنه بهذا اللفظ . فالأول حادث من غير شك والثانى قديم بلا ريب كما تجد شرح ذلك فى لفت اللحظ إلى ما فى الاختلاف فى اللفظ لابن قتيبة ، ومع وضوح ذلك ترى حشد أسماء النقلة المكفرين للقائلين باللفظ كفراً ناقلا من الملة فى شرح السنة للالكائى وغيره ولا شك أن هذا تهور قبيح ، ومنها مسائل الصفات التى يروى فيها بين النقلة أخبار بعيدة عن الصحة والثبوت فيأخذون بها حاملين لها على معان تدخل فى تجسيم إله العالمين مما يبرأ منه كل سنى يريد التنزيه ، وهذا من أخطر ما أثار حفيظة كثير من النقلة ضد المنزهين ، وكانت كتبهم مخبأة إلى أن طبع كثير منها تحت ظلال الحرية وأصبح فى متناول يد كل قارىء بعد نسج هالات من التبجيل حول أسماء مؤلفيها ، تمهيداً للإضلال بأقاويلهم المردودة من غير رقيب ولا مجيب ، إلى غير ذلك من صنوف الجهل . ولا يتسع المقام لأكثر من هذه الإلمامة المشيرة إلى ما وراءها من الجهالات .

ويظهر أن بعض المناخين عن القائلين بالحرف والصوت من الحشوية لا يميزون بين إطلاق وصف الدال على المدلول مجازاً واطلاقه على الدال نفسه حقيقةً ، فيحاولون أن يتصوروا فى قول بعض أئمة السلف : القراءة مخلوقة والمقروء غير مخلوق ، بعض مستند لهم ، فى قدم ما بأيديهم ، مع أن الواقع أن القراءة مثلا بالمعنى المصدرى لها طرفان القارىء والمقروء ، لأنه المعنى النسبى بين هذين الطرفين فالقارىء هو الشخص التالى ، والمقروء هو الصوت المكيف بكيفية خاصة الخارج من الفم القائم بالهواء المهتز اهتزازاً خاصاً فموضوع المقروء وحقيقته هو ذلك الصوت فيكون حادثا مخلوقا كالقارىء ، وأما استعمال المقروء فيما قام بالله من ألفاظ علمية غيبية فمجاز من إطلاق وصف الدال على المدلول كما بسط ذلك السعد التفتازانى فى

شرح المقاصد تبيينا لمقاصد القائلين من السلف بأن التلاوة حادثة والمتلو غير مخلوق بأن هذا من وصف المدلول بوصف الدال فافهم ذلك فإنه من مزالق بعض الأفهام .
وأما طريقتى فى البحث عن أسانيد المثالب المخالفة لما تواتر من مناقب الامام الأعظم المرفوع المقام جداً منذ قديم فتستند إلى أمور ؛ منها أن أخبار الآحاد على فرض ثقة رواتها لا تناهض العقل ولا النقل المستفيض فضلا عن المتواتر ، وقد ثبتت إمامة أبى حنيفة وأمانته ومناقبه لدى الأمة بالتواتر حتى نال مقاما لا يسامى على توالى الدهور فخبر الآحاد ضد من استقر فى نفوس معظم الأمة الاعتراف له بتلك المزايا آيل للسقوط بنفسه فضلا عن أن تكون فى رجال سنده علل ، ومنها أن بين علماء الجرح والتعديل من يسجل أسماء المجهولين فى عداد الثقات بمناسبة أنهم ما عرفوا جرحا فيهم فمثل ذلك المجهول لا يرتفع بهـذا التسجيل فوق أن يكون مجهول الصفة ولا سيما فى خبر يسقط بأدنى سبب ، ومنها أنه تقرر عند أهل العلم أن فاقد الشىء لا يعطيه ، فيكون توثيق غير الثقة لشخص لا يرفعه إلى مرتبة الثقات ، فأمثال أبى نعيم والبيهقى والخطيب ممن ثبتت شدة تعصبهم الموجبة لرد أنبائهم فيما يمس تعصبهم لا يقبل قولهم فى توثيق رجال المثالب ، وهم الذين تراهم يحتجون بأخبار فيها كذابون عند أهل النقد مع علمهم بأنهم كذبة كما دللنا على ذلك فى مواضع ، ومثل أبى الشيخ صاحب كتاب العظمة الذى يعد بعضهم كتبه من حقول الموضوعات لا يرفع توثيقه الشخص فوق أن يكون غير موثق ، ومرادى من كون الرجل غير موثق كونه غير موثق من أهل الشأن ، وهذا ظاهر ، وكم من راو يوثق ولا يحتج به كما فى كلام يعقوب الفسوى ، بل كم ممن يوصف بأنه صدوق ولا يعد ثقة كما قال ابن مهدى : أبو خلدة صدوق مأمون ، الثقه سفيان وشعبة اه فترى هكذا ثقة لا يحتج به ، وصدوقا لا يعد ثقة . ومنها أن خبر الآحاد يكون

مردوداً عند مصادمته لما هو أقوى منه من أخبار الآحاد ، فضلا عن مصادمته لما تواتر ففي هذا الموضع لا داعى للبحث عن رجال السند من كل ناحية لكفاية إبداء بعض مآخذ فى إسقاط الخبر الآيل بنفسه إلى السقوط فلا ألام فى ذلك بعدم استيفاء الكلام ، وكم من رجل انتقى بعض حديثه فى الصحيح ومع ذلك لا يصح عد أخباره كلها صحاحا ، فضلا عن رجل له جارح ومادح يترجح جرحه فى خبره المصادم للمتواتر المستفيض ، وأما مراعاة حرفية الجرح فغير ميسورة كل وقت وكفى الاحتفاظ بجوهر المعنى ، فطريقتى على هذا فى البحث عن رجال المثالب النظر أولا فى متن الخبر لأستجلى مبلغ مخالفته للعقل أو النقل بادئ ذى بدء لأبنى على ذلك تعيين مبلغ الاهتمام الواجب فى البحث عن إسناد الخبر فإن كان الخبر ظاهر السقوط بمخالفته للعقل أو للنقل فلا أرى داعيا إلى التوسع فى إبداء وجوه الخلل فى السند بل أكتفى ببعض مآخذ فى الرجل مدونة فى كتب أهل الشأن ، فأدونها فى الكتاب غير مستقص ذكر جميع ماقيل فى الرجل الذى أتحدث عنه ، لكفاية ذلك لإسقاط الخبر الآيل بنفسه للسقوط كما سبق ، وعادتى أيضاً فى مثل تلك الأخبار تطلب ضعفاء بين رجال السند بادىء ذى بدء ضرورة أن الخبر الذى ينبذه العقل أو النقل لا يقع فى رواية الثقات ، ومجرد التوافق فى الاسم لا يبرر نسبة الخبر التالف إلى الثقات لأجل تصحيح الأخبار الكاذبة مثل قول القائل : أبو حنيفة ضال مضل وأبو يوسف فاسق من الفساق وأصحاب أبى حنيفة أشبه الناس بالنصارى ، وأبو حنيفة استتيب من الكفر مرتين أو استتيب من الزندقة ، أو أتاه رجل خراسانى بمائة ألف مسألة يسأله عنها فقال هاتها إلى آخر تلك الافتراءات الساقطة المدونة فى الكتاب وإنما يكون استيفاء جميع ماقيل فى رجال السند عند الكلام فى أخبار آحاد لا تصادم العقل ولا النقل المتواتر أو المستفيض

وأما الخبر المصادم لذلك من بين أخبار الآحاد فيرد حيث لا تمكن مناهضته للعقل والخبر المتواتر على تقدير سلامة رجاله من المآخذ ، فكيف إذا كان رجاله مجروحين على درجات متخالفة ، معادين له فى العقيدة والعمل ، فطريقة نقد أخبار الآحاد غير المصادمة لما هو أقوى منها غير طريقة نقد خبر الآحاد المنابذ للعقل والنقل المتواتر ، فإنه ساقط بنفسه ، فيكون الكلام فى رجال سنده وتبيين المآخذ فيهم لمجرد إبداء مبلغ سقوط أهل البهت سقوطا لا نهوض لهم بعده ، وإنى أرى الأصل فى أنباء أبى حنيفة هو الفضل والنبل لكونه عمدة الأمة ، وقدوة الأئمة ، ومقامه الماثل أمام كل بصير فى كل طبقة مما لا يحوزه إلا الخير النبيل ، بخلاف الأستاذ اليمانى فإنه يرى الأصل فى أخباره الشر ، فيحاول إثبات كل شر ورد فى ألسنة بعض أهل البهت بشأنه ، والمسيء حقاً إلى نفسه وإلى الأئمة هو الناقد المنتهج منهج تركيز المثالب على أكتاف أبى حنيفة بتصحيح روايات الكلمات النابية على ألسنة أئمة كبار بمحاولة توثيق رواتها ، فإن رواية (ما ولد فى الإسلام أشأم منه) مثلا تسقط القائل المتهور كائنا من كان ، لأنه لا شؤم فى الإسلام ، وعلى فرض وجوده لا يعدو الثلاثة الواردة فى الآثار ، وعلى تقدير تجويز وجوده خارج الثلاثة يكون شؤم المشئومين متنازل الدركات ، وعلى تقدير أن الإمام الأعظم المشهود له بأعظم الخدمات للإسلام مشئوم فمن أين للقائل المتهور أن يقول إنه أشأم المشئومين ؟ ومن أين يعرف أنه فى أعلى درجات الشؤم بين المشئومين ؟ فمن يثبت مثل هذا الهراء الساقط بنفسه على لسان إمام من كبار الأئمة يكون هو المسيء إلى نفسه وإلى ذلك الإمام حقاً ، لا المكذب للروايات المختلقة بقرع الحجة بالحجة ، فليسمح لى الأستاذ الصالح أن أقول له : أفلا تكون أنت الأحق بذلك المثل السائر الحكيم الذى تجريه على لسانك ؟ ثم إن محاولة

الاختفاء وراء الرجال فى معامع الجدل ليست من شأن الأبطال ، وقد قال ابن المبارك : (دعوا ذكر الرجال عند الحجاج) لأن الرجال إنما يعرفون بالحق ولا يعرف الحق بالرجال ، ثم ان كل واحد من الأمة فيه ما يؤخذ أو يرد ، فمحك الحق هو الحجاج فى كل موقف ، ومنزلة كل عالم إنما تتبين بقرع الحجة بالحجة لا بذكر أسماء رجال غير معصومين من الزلل ، ولا عصمة لغير الأنبياء عند أهل الحق ، فلا يكون التحدث عما يعزى إلى بعض الأئمة من الكلمات الماسة بعرضها لمحك النقد العلمى فى شىء من الإساءة إليهم بل هذه الطريقة هى الطريقة المثلى فى تحقيق مثل هذه المطالب عند من برأهم الله تعالى من التعصب الذميم ، وللإشارة إلى ما ذكرت هنا من طريقتى فى البحث قلت فى مفتتح التأنيب : (فلا يتصور أن يناهض ما روى فى مثالبه فى تاريخ الخطيب ونحوه ماتواتر من مناقبه إلا إذا كان الخبر التالف يقاوم الخبر المتواتر ، أو كانت الهواجس والوساوس قاضية على الملموس من الحقائق ، وليس الصحيح من خبر الآحاد يعارض المستفيض المشهور فضلا عن المتواتر ، وأسانيد ماساقوه فى مثالبه رضى الله عنه ، فيها من وجوه الاعتلال والاختلال ما سنشرحه إن شاء الله تعالى ، وما سردناه فى هذا الكتاب من الأخذ والرد يدعو الباحث المتبصر إلى التروى فى قبول كل ما يجد فى كتب الجرح إلى أن يستوثق من ملابسات الجرح وبواعثه ، والله سبحانه هو الهادى) . وهذا البيان الواضح يحتم على الناقد الصالح أن يدرس ملابسات فتنة القول بخلق القرآن وما ترتب عليها من الترامى بالبدعة بل بالكفر والزندقة بأتفه الأسباب ، وأحداث عهود التزاحم على القضاء والمناصب ، واستفحال شر التعصبات المذهبية الحاملة على التغاير تغاير التيوس فى الزرائب ، مع مدارسته كتب أيام الفتنة فى التاريخ وما حوته من الجروح المبنية على توتر الأعصاب ، قبل هدوء النفوس ورجوعها

إلى الصواب ، وكذا الكلمات النابية المدونة فى الكتب المؤلفة زمن توالى الفتن المثيرة فى المعتقد من أمثال استقامة خشيش ، وسنة عبد الله بن أحمد ، ومسائل حرب بن اسماعيل ، وسنة الخلال ، ونقض الدارمى ، وتوحيد ابن خزيمة ، وطبقات ابن أبى يعلى ، وإبانة ابن بطة وغيرها من الكتب المعروفة ليتأكد من مبلغ انطباق ما حوته من الآراء لمعتقد أهل الحق أو مجافاتها له على ما فى ردود أهل الشأن عليها وعلى ما فى كتب وتعاليق ومقالات لى فى الرد على أهل الأهواء ، واللامذهبية الحدثاء ، وأغلبها فى متناول أيدى الباحثين و بعد اطلاع الأستاذ اليمانى على ذلك كله ، له أن يتخذ لنفسه موقفاً من الكوثرى كما يشاء ، وهذا هو مفتاح النقد فى هذا الميدان . وأما الاكتفاء بما ساقته إلى يده مهمة التصحيح المطبعى من الكتب فلا ينقذه مما تورط فيه من محاولة تدعيم روايات المثالب ، فعد المثالب أصلا فى هذا الإمام الجليل المناقب وتطلب ثقات بين المسمين بالأسماء الواردة فى أسانيد المثالب ليكونوا رواة تلك المخازى مع قبول التوثيق من كل من دب وهب والتغاضى عن المآخذ فى المتن والسند فى مناهضته المتواتر والمشهور المستفيض فى الوصول إلى غايته من تحميل أحمال التهم على أكتاف الإمام الأعظم ووصف الذاب عنه بما ألهمه هواه من الأوصاف بدون أن يرعى إلا ولا ذمة هى طريقة ذلك الناقد قائد تلك الطليعة ، وسلوكه هذا المنهج فى معاداة أبى حنيفة وأصحابه سعى فى الخسران وغلو فى الطغيان وكفران للنعمة أى كفران فنسأل الله الصون فى كل آن .

ومن المضحك تظاهره بأنه لا يعادى النعمان مع سعيه سعى المستميت فى توثيق رواة الجروح ولو بالتحاكم إلى الخطيب نفسه المتهم فيما عمله ، مع أنه لو ثبتت ثقة حملتها ثبت مقتضاها ، والتحاكم إلى المتهم شأن هذا الناقد البصير ، وحذفه للمتون لأجل

إخفاء مبلغ شناعتها عن نظر القارىء فلو ذكرها كلها مع كلام الكوثرى فى موضوع المسألة لنبذ السامع نقد هذا الناقد فى أول نظرة لما حوت تلك المتون من السخف البالغ الساقط بنفسه من غير حاجة إلى مسقط فيكون ذكر المتون قاصما لظهره ، فيا سبحان الله ! (كبير فقهاء الإسلام يكون أشأم من ولد فى الإسلام ، وأصحابه الذين ملأوا العالم علما أشبه الناس بالنصارى ، وهذا الإمام ضال مضل ، وصاحبه الأكبر فاسق من الفاسقين ، واستتيب إمام الأئمة من الكفر مرتين ، ومن الزندقة مرتين ، وأتاه آت من خراسان بمائة ألف مسألة ليسأله عنها ، فقال هاتها) ، فهذه نماذج من الروايات التى يسعى الأستاذ اليمانى فى توثيق رواتها ، مع أن الإمام الأعظم أول الأئمة تدوينا للفقه الإسلامى الناضج بعد تمحيص المسائل فى مجلس فقهى برأسه هو ، وهو أيضا أول من ألف من بين الأئمة فى إيضاح عقيدة الإسلام والرد على أهل الزيغ كما اعترف بذلك الأستاذ عبد القاهر البغدادى وقد ملأ علمه وعلم أصحابه بلاد الشرق والغرب ، ومآثره عند الجميع تبهر الأبصار ، ومفاخره تزخر بها الأسفار ، وما له من إنفاق و إيثار مشهور بين علماء الأمصار ، أمثله حقيق بتلك المثالب ؟ لكن الدهر أبو العجائب ، وهو يسعى فى تحميل الروايات الكاذبة على أكتاف ثقات يضعهم فى الأسانيد بدل الضعفاء ، وأنا أسعى فى رد البضاعة الزائفة إلى أصحابها المتهمين ، فلا أدرى من الذى يكون مسيئا إلى الثقات ؟ هل الذى حملهم بهتانا عظيما أم الذى برأ ساحتهم من أن يكونوا رواة هراء وسخف ، هذا طريق ، وذاك طريق ، والله المستعان .

الفصل الثانى

فى التحدث عن اعتراضات الأستاذ المتهجم ، فمن ذلك رميه إياى فى مفتتحى القسمين من طليعته بالطعن فى الأئمة من غير ذكر أى دليل على ذلك كما هو شأن دعاة السوء ، فكأنه لم ير مافى أول كتاب التأنيب الذى يشتغل بالرد عليه منذ ثمانى سنوات ، وفيه مانصه : (إن الأئمة المتبوعين رضى الله عنهم أجمعين كانوا كأسرة واحدة يتناصرون فى خدمة شرع الله سبحانه ؛ يستفيد هذا ما عند ذاك وذاك ماعند هذا حتى نضج الفقه الإسلامى على أيديهم تمام النضج ، بانصرافهم كل الانصراف إلى استقصاء ما ورد فى السنة قبل أن يدخلها الدخيل بعد القرون الفاضلة ، و بإقبالهم أشد إقبال على تفهم ما فى كتاب الله وسنة رسوله من المعانى السامية ، والمرامى البعيدة ، قبل أن تحدث فى اللغة أطوار تبعدها عن المعانى التى كانت تفهم منها عند التخاطب بها فى عهد نزول الوحى ، وكان فضل الله عليهم عظيما ، حيث أعدهم لهذا العمل النبيل ، بقدر ما آتاهم الله من بالغ الذكاء ، وقوة الحفظ ، وحسن الخوض على المعانى ، و بعد النظر فى اجتلاء الحقائق من المكامن وتمام الشغف بالفقه والتفقيه ، وسرعة الخاطر ، وجودة الإلقاء ، وعذوبة البيان ، وسعة ذات اليد ، والصحة الكاملة ، والعافية الشاملة ، وعظيم الإخلاص مع قرب عهدهم من زمن المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، والرواة الذين كانوا بين كل واحد منهم و بين الصحابة رضى الله عنهم لا يزيد عددهم فى الغالب على راويين اثنين فقط : أحدهما شيخه والآخر شيخ شيخه ، ومن السهل عليهم معرفة أحوال هذين الاثنين ومن فى طبقتهما معرفة لا تشوبها شائبة .

أما من تأخر زمنه وتكلم فى هؤلاء الرواة ، ولا سيما بعد استفحال الفتن

وعموم التعصب فليس من السهل عليه أن يكون كلامه فيهم عن معرفة أحوالهم كما يجب ، فالقلب يكون أركن إلى نظر الأئمة فى الرجال الذين بينهم و بين الصحابة لمزيد صلتهم بهم ومدارستهم لأحوالهم عن كثب ، بخلاف من تأخر زمنه وتكلم فيهم . فإن كلامه لا يخلو من شوب ، وكانت للأئمة أصحاب خيار يبلغون علومهم إلى من بعدهم خير تبليغ ، وهكذا كان أصحاب أصحابهم وهلم جرا إلى اليوم الذى أنت فيه وقد بوأ الله سبحانه كلا منهم ـ الأقدم فالأقدم ـ مقامه الجدير به فى قلوب الأمة منـذ أشرقت شموس علومهم ، وأينعت ثمار فهومهم ، وما أعده الله لهم من النعيم فهو به عليم) أهكذا يكون الطعن فى الأئمة ؟ !

ثم نقلت فيما نقلت عن ابن عبد البر قوله : (فمن قرأ فضائل مالك ، وفضائل الشافعى ، وفضائل أبى حنيفة بعد فضائل الصحابة والتابعين وعنى بها ووقف على كريم سيرهم وهديهم . كان له عملا زاكيا نفعنا الله بحب جميعهم .

ومن لم يحفظ من أخبارهم إلا ما بدر من بعضهم فى بعض على الحسد والهفوات والغضب والشهوات ، دون أن يعنى بفضائلهم حرم التوفيق ، ودخل فى الغيبة وحاد عن الطريق ـ جعلنا الله و إياك ممن يسمع القول فيتبع أحسنه ـ وقد قال صلى الله عليه وسلم : دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء) .

ثم قلت : (فمن اختار أبا حنيفة مثلا قائلا إنه تابعى وهو أجدر بنيل الصفوة من الأخبار من ينابيعها الصافية القريبة من عهد النبى صلى الله عليـه وسلم فله أن يجعل ذلك سببا لاختياره . لـكن لا يجوز له أن يغفل أن هذه الفضيلة لا تستلزم الرجحان فى العلم مطلقا وكم بين التابعين من هو مغمور مع تقدم زمنه .

ومن اختار مالـكا باعتبار أنه نشأ فى مهبط الوحى فله ذلك ، ولـكن لا يسوغ له إغفال أن علماء الأمصار يشاركونه فى علوم الحجاز لـكثرة حجهم و مجاورتهم

بالحرمين فى عهده بل بين سكان مهبط الوحى من لا يفضله بل ولا يقارب شأوه مع مشاركته له فى الإقامة بالمدينة المنورة على أن السكنى هناك بعد أن تفرق الأصحاب فى البلدان و بعد انقضاء عهد الفقهاء السبعة لا تقاس بالإقامة بها فى عهد الرسول صلوات الله وسلامه عليـــه وفى عهد أصحابه رضى الله عنهم أوفى عهد هؤلاء الفقهاء ، ومن تابع الشافعى قائلا إنه قرشى فله ذلك . لـكن هـذه الميزة لا توجب الرجحان فى العلم ، وفى صحيح مسلم : من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه . على أن هناك من العلماء من هو قرشى بالاتفاق فيفضل على من فى قرشيته خلاف لو كان هذا الأمر بالنسب ، ومن تابع أحمد بن حنبل وذكره بكثرة الحديث فله ذلك ، لـكن كثرة الحـديث بمجردها إذا لم تكن مقرونة بالتمحيص والغوص تكون قليلة الجدوى ، ولا حجر على المقلد فيما يتخذه سببا لمتابعتـه إماما دون الآخرين لـكن رجحان أحد المجتهدين فى نظره لا يستلزم رجحانه على الآخرين فى نفس الأمر بل الخوض فى المفاضلة بينهم بعيد عن الحـكمة) أهكذا يقول من يطعن فى الأئمة ؟ ! !

وكم لى من كلمات فى كتبى فى هذا المعنى ، ومقالى تحت عنوان (اللامذهبية قنطرة اللادينية) كان له رنين فى البيئات العلمية وتأثير حميد مشكور عند أولى الألباب ، وكذلك مقالى الآخر (حول محاولة التقريب بين المذاهب) ، وهما أيضاً من الأدلة على مبلغ إجلالى لأئمة الهدى المتبوعين رضى الله عنهم أجمعين وأما المقارنة بين مسائل المذاهب وأدلتها وترجيح بعضها على بعض كما يقضى بذلك بساط البحث ، فليست من الطعن فى شىء ، بل ذلك هو مقتضى التفقه فى دين الله على ما هو معلوم عند كل من شم رائحة الفقه ، وغير الأنبياء لا يرفع إلى مقام العصمة عند العلماء ، فليتب الناقد عن رميي بالطعن فى الأئمة ، لأن دلالة تلك

النصوص على خلاف ما ادعاه فى غاية الظهور ، وكذلك ليس من معتقد أهل الحق رفع الصحابة رضى الله عنهم إلى مستوى العصمة بل التخير بين أقوالهم هو منهج أهل التحقيق من العلماء ، بل تكلم فى بعض الصحابة بعض أهــل الجرح من المحدثين مثل ابن عدى صاحب الـكامل ، وليس تخير الإمام الأعظم فى روايات بعض الصحابة يبدع فى هذا الباب عند من ألم بهذا البحث إلماما كافياً ، وأسماء الصحابة الذين رغب الإمام عما انفردوا به من الروايات مذكورة فى (المؤمل) لأبى شامة الحافظ ، وليس هــذا إلا تحريا بالغاً فى المرويات يدل على عقلية أبى حنيفة الجبارة ، المزيلة لـكثير من شكوك المتشككين ، وفى النكت الطريفة وفى التأنيب بعض بسط فى هذه المسألة ، فيكون افتتاح الناقد كتابه بعزو الطعن فى الأئمة بل الصحابة والتابعين إلى من يجادله زعماً مجرداً من غير أى دليل ومن أسوأ مايفعله داعية فى الدعاية لما هو بسبيله ، وأما نقد آراء بعض أهل الحديث ممن سبق وصفهم فى التأنيب على ألسنة أمثال شعبه وابن عيينة والثورى وعمرو بن الحارث وغيرهم ممن ذكروا فى كتاب ابن عبدالبر وكتاب الرامهرمزى وغيرهما فليس إلا لتمييز الحق من الباطل ، رغم رأى هــذا المتطاول . وتنويع الأستاذ اليمانى للإجرام الذى يتجناه على هذا العاجز دليل آخر مستقل على ما ينطوى عليه من تحريف الحقائق ورمى الأبرياء تبعاً لأوهامه فلنترك ذلك إلى علام الغيوب ولنبدأ فى استعراض آرائه فى نقد التأنيب ، مسايراً له فى الترتيب ، وقد عد الأستاذ الناقد من أنواع الجرائم التى يرمينى بها إقامتى — فى حسبانه — رجلا ضعيفاً مقام ثقة فى أسانيد المثالب ، لتوافقهما فى الاسم واسم الأب غشاً وخيانة لا وهما ، فحاول بكل قواه بادئ ذى بدء تقوية رواية منسوبة إلى ابن عيينه ساقطة تالفة متناً

وسنداً فنقب عن رجال ثقات يمكن إحلالهم محل ضعفاء الرجال فى السند ، فيقول فى شخص اكتنفه راويان من أعلى وأسفل همذانيان :

ينبغى أن يكون ذلك الشخص همذانياً أيضاً لتوسطه بين همذانيين ، وينبغى أيضاً أن لا يحدث هروى فى همذان ، ولا همذانى فى هراة ، وينبغى أيضاً أن لا ينسب من هو تميمى نسباً إلى هراة بلداً ، وينبغى أيضاً أن لا يدعى حافظاً من يذكر بالحفظ ، كأن البلدين فى غاية التباعد ، وكأن التميمى ممنوع من السكنى فى هراة ، وكأن من يذكر بالحفظ لا يكون حافظاً ، إلى غير ذلك من طرائف النقد البرئ . فيبنى على هذه الانبغاءات البت فى الرجل الثقة الذى يحاول إحلاله محل الضعيف فى الخبر الظاهر السقوط ، ولم يدر المسكين أن ذلك الخبر فى السقوط بحيث لا يمكن أن يقوم على قدم فضلا عن قدمين مهما حاول إحداث سنادله ، لاستحالة المتن ووجود ما يسقط الخبر سوى هذا الرجل الذى حاول أن يحله محل الرجل الضعيف الذى فى السند ، ولو كان الناقد ذكر فى صلب نقده متن الخبر المتحدث عنه كان القارئ يحكم بكذب الخبر بمجرد سماعه ، لكن عادة الناقد إهمال ذكر المتن إخفاء لحاله عن السامع كما يهمل ذكر الطعون المميتة للخبر من غير موضع مشاغبته إخفاء لها أيضاً فما الفائدة المرجوة من المشاغبة فى رجل أو رجلين فى السند ؟ بعد استحالة المتن فى العادة ووجود ابراهيم بن بشار الرمادى الذى أشرت إليه فى نقد السند نفسه .

فإليك نص الخبر مع سنده (ص ٤١٢) من تاريخ الخطيب : (أخبرنا محمد بن عيسى بن عبد العزيز البزاز ـ بهمذان ـ حدثنا صالح بن أحمد التميمى الحافظ حدثنا القاسم بن أبى صالح حدثنا محمد بن أيوب اخبرنا إبراهيم بن بشار قال سمعت سفيان بن عيينة

يقول : ما رأيت أحداً أجرأ على الله من أبى حنيفة ، ولقد أتاه رجل من أهل خراسان ، فقال : يا أبا حنيفة قد أتيتك بمائة ألف مسألة ، أريد أن أسألك عنها قال : هاتها . فهل سمعتم أحداً أجرأ من هذا ؟) فبالله عليك : رجل لا يعرف إلا بأنه من أهل خراسان يأتى أبا حنيفة بمائة ألف مسألة ويسأله عنها ، هذا مما لا يقبله عقل ولا ينطق به من يعلم مقدار العدد الذى يقال له (مائة ألف) ولا من يعرف إلى كم مجلد يحتاج تدوينها فى غير عهد التدوين ، ولا من يعلم مقادير المسائل المدونة فى المذاهب كلها . بل هذا تخليط فظيع ينبذه العاقل ويرده بمجرد سماعه ، ولو حكى له بسند متماسك فضلا عن سند فيه مآخذ ، بل خبر الآحاد الصحيح ينبذ ويترك عند أهل العلم بمخالفته العقل كما فى (الفقيه والمتفقه) للخطيب نفسه ، وأى عقل يقبل هذا الهراء ؟ ومن المقرر عند أهل العلم أن صحة السند بحسب الظاهر لا تستلزم صحة المتن فضلا عن سند كهذا ، فيكون التخليط ظاهراً فى هذا الخبر عند أولى الألباب أمثل هذا الخبر الساقط يتطلب رجال ثقات تحمل على أكتافهم هذه الأسطورة أم تستبقى كما هى فى عهدة حملتها الضعفاء ؟ هذا رأى ، وذاك رأى ، وكنت ذكرت فى نقد ذلك الخبر التالف مناهضته للعقل والواقع ووجود أناس متكلم فيهم فى السند مثل صالح بن أحمد التميمى القيراطى الهروى الهالك — وهو هو عند اللجنة الأزهرية القائمة بالتعليق على تاريخ الخطيب أيضاً كما فى (١٣ — ٤١٢) من تاريخ الخطيب ، كما أنه هو هو فى رد الملك المعظم للخطيب فى (١٤٩) ، والثانى مطبوع فى الهند أيضاً ولا أدرى كيف فات الأستاذ الناقد كل هذا ، حتى خلع علىّ خلعة الانفراد بجعل أن صالح بن أحمد هو الهروى المضعف لا الهمذانى الموثق ، وقلت أيضاً إن القاسم بن أبى صالح ضاعت كتبه وبدأ يحدث بكتب غيره ، أفلا يكون مثل هذا مظنة الخطأ فى الرواية بسبب هذا وإن وثقه بعضهم

من قبل ، ويحاول الناقد أن يلزمنى بذكر أنه موثق ، وهذا إلزام بما لا يلزم ، لأن التوثيق السابق لا يعيد إليه كتبه الضائعة ، مع كفاية ما ذكرته فى إسقاط مثل هذا الخبر ، كأنه لا يعلم أن تحديث الراوى بكتب غيره من أسباب رد روايته فى حد ذاته ، ومحمد بن أيوب أعده ابن هشام الرازى المضعف وهو يجعله ابن الضريس الموثق فماذا يفيد ذلك ؟ فى مثل هذا الخبر لو سلمنا ذاك جدلا مع وجود الرمادى فى السند أيضاً ، وعن ابراهيم بن بشار الرمادى يقول ابن أبى حاتم : (أنبأنا عبد الله بن أحمد بن حنبل فيما كتب إلى قال سمعت أبى وذكر ابراهيم بن بشار الرمادى فقال : كان يحضر معنا عند سفيان ثم يملى على الناس ما سمعوه من سفيان وربما أملى عليهم ما لم يسمعوا كأنه يغير الألفاظ ، فتكون زيادة ليست فى الحديث ، فقلت له : ألا تتقى الله تملى عليهم ما لم يسمعوا وذمه فى ذلك ذماً شديداً) كما ذكرت ذلك فى التأنيب (٨٢) وأشرت فى موضع نقد هذا الخبر فيه (٩٧) بقولى : قد سبق قول أحمد فى روايته عن ابن عيينة . وزد على ذلك أنى لم أذكر أن سفيان بن عيينة نفسه كان قد اختلط قبل وفاته بسنة أو أكثر ، فيمكن أن يقع منه هذا التخليط فى عام الاختلاط رغبة منى فى حصول التخليط المحقق فيمن دون ابن عيينة ، ألم يظهر بعد هذا كله أن هـذا الخبر (هو الخلط من أى النواحى أتيته) . وهذا الخبر الذى فى سنده الرمادى المذكور وغيره هو الذى ينافح عنه الأستاذ اليمانى بمحاولة إقامة ثقات مقام ضعفاء مع كفاية المتن وحال الرمادى فى رد الخبر ، ولا مانع من سقوط اسم بين محمد بن عيسى البزاز وصالح بن أحمد وكم من سقط فى تاريخ الخطيب حيث كان الأصل الوحيد لتاريخ الخطيب المودع عند ابن خيرون قد احترق فى بيت ابن خيرون نفسه فذاعت النسخ من غير أصل الخطيب فاختلفت زيادة ونقصا ولذا لقى الطابعون أتعابا كثيرة من هذه الجهة أيضاً ، وأين مثل هذا

الكتاب من التداول بأيدى الثقات الضابطين؟ لتوجد أصول صحيحة منه فى كل طبقة .

و إطلاق الأثر على ما لم يؤثر من النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم فى دين الله شىء مبتكر فى سبيل تقوية الخبر الزائف من هذا الناقد الصالح وأما من يرى كون صالح بن أحمد فى السند هو المضعف . فليس هذا العاجز فقط ـ كما يظن الأستاذ الناقد ـ بل سبقنى إلى هذا الرأى الملك المعظم عيسى الأيوبى شارح الجامع الكبير فى رده على الخطيب ، وكذا أركان اللجنة العلمية الأزهرية التى قامت بالرد على الخطيب أيضاً فى تعليقهم على المجلد المعاد طبعه من تاريخ الخطيب ، ومع هـذا لا مانع لدى من قبول تحقيق الأستاذ اليمانى فى عد صالح ابن أحمد فى السند هو الموثق؛ مقدراً بحثه وشاكراً فضله ومعترفا بأنى كنت وهمت. لكن قبولى لتحقيقه هكذا لا يوصله إلى نتيجة يتوخاها من إثبات (أن أبا حنيفة جرىء فى دين الله حيث أتاه خراسانى بمائة ألف مسألة ليسأله عنها . فقال هاتها) لاستحالة هذا المتن فى مجرى العادة ، ولحال ابراهيم بن بشار الرمادى المشروح فى التأنيب (٨٢) على فرض التغاضى عن سائر المآخذ ، فيبقى هـذا الخبر دليلا على انطماس بصيرة من يدعى ذلك على أبى حنيفـة . كما أن تكلف جعل الثقات هم الذين يتولون رواية هـذه الخرافة لا يعلى شأنهم كثيراً فيما أظن ، على أن صالح ابن أحمد المضعف عند الملك المعظم واللجنة العلمية الأزهرية وصالح بن أحمد الموثق عند الأستاذ الناقد كلاهما من طبقة واحـدة على تأخر وفاة أحدهما ، و بعد ثبوت المعاصرة بينهما لا يقبل فى الطبقات المتأخرة ادعاء أن هذا أخذ عن فلان وعنـه فلان بخلاف ذاك إلا من جهبذ خريت ، وأين هو؟ .

وأبو الحجاج المزى حاول فى تهذيبه استيفاء ذكر شيوخ كل راو والآخذين

عنه لكن لم يسلم له الاستقصاء . بل استدرك عليه قدر ما ذكره فى القبيلين ، فإذا كان مثل المزى هكذا فى رجال الستة . فكيف يكون الحال فيمن تأخر عنهم . واقتناع باحث فى أمر لا يوجب اقتناع باحث آخر فيه ، على أن زيادة (عبد) على جد محمد بن عيسى المدون فى تاريخ الخطيب باسم (العزيز) ليكون ابن عبد العزيز المتأخر الوفاة ربما تكون مما لا يقتنع به سوى الأستاذ الناقد الذى لا يرى بأساً فى جعل الصواف هو السواق ليصيب سهمه كما سيأتى ، بل لو فرضنا صحة تلك الزيادة لما بعد سقوط اسم بين إسمى الراويين ، وإذا جاز سقوط اسم وإثباته عند راويين فى سند فى مثل صحيح البخارى كما فى كتب أهل الشأن ، فكيف يكون الحال فى كتب التاريخ المدونة فى القرن الخامس ؟ ولا سيما فى مثل تاريخ الخطيب الذى تلاحق الأقلام بالتصرف فيه بعد احتراق أصل المؤلف فى بيت ابن خيرون معروف عند أهل العلم كما سبق .

والتحدث عن رمزى الزاى والذال نقاش بيزنطى لا تعلق له بالموضوع تعلقاً ذا شأن ، فليطل الأستاذ الكلام ما شاء هواه أن يطيله ، وهذا هو مصير أول نقد تأنق فى تدعيمه لإحلال صالح بن أحمد الهمذانى محل صالح بن أحمد الهروى القيراطى ، وإقامة ابن الضريس مقام ابن هشام الرازى تثبيتاً لتهمة الاجتراء فى الإفتاء على ذمة أبى حنيفة مع ما فى السند والمتن من القوادح الظاهرة ، ولعل الأستاذ اليمانى يقصد من إطالته الكلام فى هذا البحث المكشوف الأمر التدرب فى البحث عن الرجال وأطمئنه أنه يجد كثيراً مما يتدرب فيه فى بحوثى وتحاريرى فهنيئاً له فى هذه البحوث ، لو حفظ لسانه وقلمه مما يوقعه فى الهاوية ، وأما ما ذكره ابن عبد البر فى الانتقاء من رواية ابن أبى خيثمة عن الرمادى لهذا الخبر . ففى صدد ذكر نماذج من حملات النقلة على أبى حنيفة لأسباب يذكرها هناك مع ما عرف من ابن أبى خيثمة أحمد

ابن زهير ممن يقول بالقـدر على اختصاصه بعلى بن عيسى فيجد المعتزلة فى تاريخه نيلا من كبار نقلة الأخبار فيحتجون برواياته فى الإساءة إلى المحدثين كما فعل أبو القاسم الـكعبي فى كتابه (معرفة الرجال وقبول الأخبار) وقد تحاماه أصحاب الأصول الستة ، وإن وثقه الخطيب وقال فيه : (لا أعرف أغزر فوائد من تاريخه ـ وهو من محفوظات جامع القرويين بالمغرب ، ولم يزل فى سنده الرمادى وهو كاف فى رد الخبر وقد قال أحمد فيه أيضا : (كأن سفيان الذى يروى عنه ابراهيم بن بشار (الرمادى) ليس هو سفيان بن عيينة) . وقال ابن معين (لم يكن يكتب عند سفيان وكان يملى على الناس مالم يقله سفيان) .

وأما قول الناقد فى عزو الإرجاء إلى أبى حنيفة على لسان ابن المبارك ـ من أخص أصحاب الإمام عند الباجى وغيره ـ وادعاؤه أن أحمد بن الخليل فى السند هو التاجر الصدوق لا المعروف بلقب حور المضعف كما يدعيه الـكوثرى عمداً لا وهما لمجرد إسقاط الرواية غير المرضية عنده فمن أين له أن يزعم أن من روى عنه التـاجر لم يروعنه حور، وهما من بلد واحد ومن طبقة واحدة ؟ وهل من الضرورى أن تكون رواة المثالب ثقات ؟ ولـكن صاحبنا ممن يصدق ما يعتاده من توهم ، ومن أين علم أنى رجحت الاحتمال الآخر لمجرد إسقاط الخبر مع علمى بتعين الاحتمال الأول من الاحتمالين لا عن وهم بل عن قصد ؟ وهـل يخلو باحث عن وهم فى المؤتلف والمختلف ؟ (ومستمر الأوهام) يعزو ، الأوهام إلى كثير من الأعلام ، وهل تقوم القيامة إذا وهمت فى شىء أو أشياء ، والحجة هى القاضية ، الـكاشفة عن وهم الواهم ، لـكن الموهِّم قد يكون هو الواهم ، فهل كان الـكوثرى فى حاجة لإسقاط هذا الخبر إلى التمحل فى الشخص المتعين مع وجود عبد الله بن جعفر الدراهمى فى السند ، وهو الذى يقول فيه البرقانى : ضعفوه وانكروا عليـه روايته لـكتاب

التاريخ عن يعقوب بن سفيان ، وقال هبة الله الطبرى : قيل له حدث عن عباس الدورى حديثا ، ونحن نعطيك درهما ففعل ، ولم يكن سمع من عباس .

و إن سعى الخطيب فى ترقيع خروقه المتسعة ليصح له ما فى الزكائب التى حملها من ابن رزقويه عنه فيما هو بسبيله من الطعون ، على أن التاجر على فرض أنه هو شيخ يعقوب الفسوى يكون ممن لا يحتج به فى نظر يعقوب حيث يقول : كتبت عن ألف شيخ وكسر كلهم ثقات ما أحد منهم أتخذه عنـد الله حجة إلا أحمد ابن صالح بمصر وأحمد بن حنبل فى العراق كما فى تهذيب التهذيب (١ — ٤٠) فماذا يفيد توثيق من لا يحتج به ، وقد حذف الأستاذ عجز كلام الفسوى هذا لئلا يخدش فى الاحتجاج به فى جرح أبى حنيفة على رأيه ، على أن الفسوى لا يرضاه ابن رجب فى شرح علل الترمذى من جهة قلة تحريه فى نقل المطاعن من مثل كتاب الـكرابيسى كما ذكرت فى الحاوى ، و يتهم فى بعض الـكتب بالـكلام فى عثمان رضى الله عنه .

وليس نظرنا إلى الخطيب كنظر الأستاذ اليمانى لأدلة ملموسة بسطناها فى التأنيب وغيره مما لا أرى حاجة إلى إعادة ذكره هنا ، وفى أواخر رد الملك المعظم عيسى الأيوبى على الخطيب كلام واسع يكشف عن حال الخطيب كما أن لابن الجوزى وسبطه كلمات يجب أن يطلع عليها من يحاول مناصرة الخطيب ، والغريب أن يستمر الناقد على الاعتماد على الخطيب فى الجرح والتعديل ، والمتهم فى قضية كيف يحتج بأقواله فى تلك القضية .

وهذا حقا من طرائف الاحتجاج ، وعلى هذا بنى الناقد انتقاداته فأصبحت ساقطة عند أهل النقد ، ولو كنا ننظر إلى الخطيب نظر الأستاذ اليمانى لما كنا نرد عليه ولا كنا ألفنا التأنيب الذى أثار حفيظة الأستاذ الناقد ، وتعويله على الخطيب

فى أغلب بحوثه هو السبب الأوحد فى تدهوره فى هوة السقوط ، ومما قال الملك المعظم فى رده على الخطيب (١٧٦) بعد استيفائه الرد على رواياته : (وهذا آخر ما ذكره الخطيب وقد بينا الجواب عن كل فصل ، وهذا على ما شرطته أولا فى صدر الكتاب ، ثم ذكرت روايته وما فى سند كل واحد من الضعف أو الكلام الشبيه بالضعف ، وكل ذلك بينت موضعه من الكتاب وقائله لم أرد بذلك إلا جوابا للخطيب فى قوله (المحفوظ عند أئمة الحديث غير هذا) ، وربما كان بعض من ذكرنا مشهوراً بالثقة والأمانة إلا أن الخطيب لما ذكر فى كتابه ما حكيناه عن واحد منهم أردنا نقل ذلك عنه إلزاما له بقوله ، وهو لابد أن يكون فى أحد النقلين كاذباً ، وهذا حديثنا فى الرجال والنقلة على تقدير أن يكون الخطيب يصلح للنقل أو النقل عنه كما إذا وقع الاختلاف فى المقضى به فعلى القاضى الثانى أن يجيزه ، أما إذا كان الاختلاف فى القاضى فليس للثانى أن يجيزه على وجه من الوجوه . وجوابنا للخطيب على هذا التقدير . ثم ذكر ما قد نقل عنه فى نفسه ثم قال فى (١٨١) : (ومن هذا حاله لا يصلح أن يكون بمنزلة الأئمة الذين تقبل أقوالهم فى الجرح والتعديل) . وهذا هو الواقع رضى بذلك الأستاذ اليمانى أم لم يرض نسأل الله أن يعصمنا من الزلل . ويحاسبنى الناقد على نقطة (جور) لكنى لا أحاسبه على نقطة (الجليل) هنا فى كتابه كما لا أحاسبه على نقطة (همدان) المحذوفة فى كثير من المواضع ، لأنه لا يخلو كتاب مطبوع من مثل هذا الخطأ ، فيا ترى هل الأستاذ اليمانى نجح هنا فيا هو بسبيله أكثر من ذى قبل فى رمى أبى حنيفة بالإرجاء البدعى رغم تبرىء الإمام منه فى كتبه المستفيضة الرواية عنه ، وتبرئة أهل التحقيق لساحته من تلك البدعة التى افتراها عليه المنحازون إلى طوائف الاعتزال والخوارج شاعرين أو غير شاعرين ، ولله الأمر من قبل ومن بعد فنسأل

الله السلامة ، وأما محمد بن جبويه الهمذانى النخاس فبعد أن وافقنى الناقد فى تصحيح (جبويه) ووقوع الطابعين فى التصحيف فى ذلك أرشدنى إلى ما فى إكمال ابن ماكولا من توثيقه فأشكره على هذه الإفادة داعياً له بالاستقامة على المهيع الرشيد فى باقى إفاداته من غير أن تنزلق قدماه فى أى دحض مزلة ، والله المجيب لمن دعاه . وإن كان خبره باطلا لما سيأتى فى استتابة شريك لأبى حنيفة ، هذا على تقدير عدم كون السند مركباً . وأما دعوى الناقد إقامتى لأبى عاصم العبادانى مقام أبى عاصم النبيل من غير مستند فناشئة من أنه لاعلم له بكون النبيل من كبار المناضلين عن مذهب أبى حنيفة بالبصرة بكل ما أوتى من حول وطول وقد امتلأت الكتب بما قاله ورواه فى مناقب أبى حنيفة ومآثره لكن عادة أصدقائنا هؤلاء أن يذكروا كنية لضعيف يشاركه فيها ثقة تمهيداً لادعاء أنها فى سند المثالب لذلك الثقة،ولو اطلع الأستاذ على ترجمة الضحاك بن مخلد ورواياته فى كتاب ابن أبى العوام وكتاب الصيمرى وغيرهما من كتب الثقات لربأ بنفسه أن يحمل أبا عاصم فى هذا السند هو الضحاك بن مخلد على أن الزملاء الثلاثة والحلوانى الموجودين فى السند مع من عرف منهم ببالغ التعصب المفضى إلى رد خبره فيما يمس تعصبه لا يحوجون إلى غيرهم فى رد الخبر مع الجزم بأن أبا عاصم فى السند غير الضحاك ، وكذا الأمر فى أسطورة استتابة أبى حنيفة فيما يروى عن شريك لوجود الزملاء الثلاثة فى سنده مع العلم بأن رواية الخطيب عن ابن رزق مدخولة عند أهل النقد ووجود السكرى فى سند الخبر أو عدم وجوده لايقدم ولا يؤخر ولا يزال الخبر ساقطا لمصادمته الواقع ووجود أظناء فى سنده ، وليس (قيل) مثل (عن) عندهم حتى يحمل هنا على السماع ، ولم يذكر فى تهذيب التهذيب سماع الموصلى من شريك على خلاف ادعاء الناقد ، والخطيب لا يحتج به فيما هو متهم فيه ،

فتكون اطالة الكلام هنا مما لا داعى إليه ، وبما عرف من تأخر تولى شريك القضاء المخول له استتابة من يشاء ، يسقط ما يروى عن شريك بطريق محمد ابن جبويه النخاس الهمذانى من قوله (استتبت أبا حنيفة مرتين) لأن فساد المتن يدل على وهم أحد الرواة مهما عدوا ثقات عند بعضهم لأن الرواة لا يخلون من وهم وفساد المتن يكون قاضيا برد الخبر بل ربما يكون السند مركبا فى مثل هذا الموضع ، وأما قولى عن عبد الله بن محمود المروزى فعبارة عن أنه مجهول الصفة ، ولم أقل إنه مجهول العين ليقال فى صدد الرد على كلامى إنه روى عن فلان وفلان وعنه فلان وفلان بل أقول : لا أعلم توثيقه من أهل الشأن المعاصرين له الدارسين لأحواله ، وأما ما نقله الذهبى عن الحاكم من توثيقه فلا يرفعه من مرتبة مجهول الصفة إلى مرتبة الثقات لما سجلناه فى ذلك الموضع نفسه من أنه بالغ التخليط حتى إنه ذكر فى مستدركه على الصحيحين مائة حديث موضوع ومالا يحصى من الأخبار الضعيفة على تعصباته الباردة ، وقول الذهبى ترديد لقول الحاكم ومتابعة له لا فحص مباشر فلا يكون من كلام أهل الشأن لمعاصرين له ، فليبحث الأستاذ المعلمى فى الدفاتر التى تحت يده عن توثيق له من أهل الشأن ليطلق لسانه كما يشاء ، على أن رد الخبر القائل : إن أباحنيفة كان يرى السيف فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، لا يحوج إلى وجود أحد فى السند سوى الحاكم نفسه ، وليس يتحاكم فى القضية إلى من يتهم فيها فى توثيق من يشاركه فى الاتهام فيها . وأما أبو الوزير فغاية ما قلت فيه فى صدد التحدث عن الرجال فى سند مايروى عن ابن المبارك فى رمى أبى حنيفة بأنه كان يرى السيف فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم . (فى سنده الحاكم وهو اختلط فى آخره اختلاطا شديدا على تعصبه البالغ ؛ وعبد الله بن محمود مجهول الصفة وكذا أبو الوزير عمر بن مطرف) وأطال الأستاذ المعلمى الكلام على الأخيرين

جد الاطالة فى موضعين من رسالته الصغيرة ، وقد تكلمت آنفا عما يتعلق بعبد الله ابن محمود لا إلى عود ، وأما أبو الوزير فيعده الناقد هو وصى ابن المبارك محمد ابن أعين ، وهو المذكور فى كتاب ابن أبى حاتم بقوله : (محمد بن أعين أبو الوزير وصى عبد الله بن المبارك روى عنه أحمد بن حنبل ومحمد بن على بن شقيق وأحمد ابن منصور زاج سمعت أبى يقول ذلك قلت : روى عن فضيل بن عياض وعبد الله بن المبارك وأبى الحجاج الزاهد ، روى عنه على بن خشرم) ولم يذكره بجرح ولا تعديل ، وتوثيق ابن حبان على طريقه فى توثيق المجاهيل فلا يرتفع هذا بذلك عن مرتبة مجهول الصفة فعلى فرض أنى وهمت فى اسم أبى الوزير فماذا يكسب الناقد من ذلك فى تقوية الرواية مع وجود الحاكم فى سندها أيضا ، وكون المرء خادما أو كاتبا أو وصيا لثقة أو معتمداً عنده فى شىء ليس بمعنى توثيقه فى الرواية عندهم لكن الأستاذ الناقد تلذه اطالة الكلام فيما لا طائل تحته ، وقول الناقد : أحمد ابن حنبل لا يروى إلا عن ثقة رأى مبتكر ، وروايته عن مثل عامر بن صالح معروفة

وأما محمد بن أحمد بن سهل فزاد الناقد قبل سهل (فارساً) ليصرف الاسم عن (الأصباغى) إلى أبى الفتح بن أبى الفوارس تزيداً منه لما شاء هواه لإثبات المتن السخيف للعاية ، بحيث يكون إحلال ثقة محل ضعيف فى سنده إهانة لذلك الثقة وإسقاطا له من منزلته ، ولو كان ابن أبى الفوارس هو المراد بذلك الاسم لسقط من مقامه العالى لما فى الخبر من سخف بالغ ، فأسوق هنا نص ذلك الخبر بسنده نتحكم به على مبلغ تحرى الأستاذ المعلمى ودرجة تفانيه فى هدم قصر مشيد ليبنى كوخا ينهار على أم رأسه ليوقظه من غفوته وغفلته ، فيا بئس الناصر والمستنصر فى سبيل السعى فى إسقاط الإمام الأعظم من علياء منزلته التى تناطح السحاب ، عند أولى الألباب ، فإليك نص ما قلته فى التأنيب : (وهناك رواية أخرى طريفة

لم يحكم واضعها وضعها ولم يدبر أمرها حتى أصبحت مكشوفة الستر لكل ناظر ، وهى ما رواه هبة الله الطبرى فى (شرح السنة) عن محمد بن أحمد بن سهل (الأصباغى) عن محمد بن أحمد بن الحسن (الصواف) عن محمد بن عثمان عن محمد بن عمران ابن أبى ليلى قال حدثنا أبى ، قال : لما قدم ذلك الرجل (يعنى أبا حنيفة) إلى محمد ابن عبد الرحمن بن أبى ليلى شهد عليه حماد بن أبى سليمان وغيره أنه قال : القرآن مخلوق . وشهد قوم بمثل قول حماد بن أبى سليمان فحدثنى خالد بن نافع قال كتب ابن أبى ليلى إلى أبى جعفر ، وهو بالمدينة بما قاله ذلك الرجل وشهادتهم عليه و إقراره فكتب إليه أبو جعفر : « إن هو رجع و إلا فاضرب رقبته وأحرقه بالنار اهـ » . فعلى هذا تكون استتابته قبل وفاة حماد بن أبى سليمان قبل سنة مائة وعشرين من الهجرة عندما كان أبو جعفر المنصور العباسى بالمدينة (فى عهد هشام بن عبد الملك الأموى !!! قبل تأسيس الدولة العباسية بدهر !!) فياللعار من هذا التهاتر المدكوك والاختلاق المهتوك ، فهل من حاجة بعد التخليط بين الدولة الأموية والدولة العباسية هذا التخليط ـ إلى الكلام فى رجال هذا السند . و بهذا الطريق أدخلوا حماد ابن أبى سليمان فى عداد الشهود ضد أبى حنيفة ، فسبحان قاسم العقول !!) .

هذا ما ذكرته فى التأنيب وأثار حفيظة الناقد الكريم ، فهج وماج و بنى على زيادتى بين قوسين : (الأصباغى) ما ألهمته نفسه الزكية ، مع أنه لم تكن زيادتى لتلك الكلمة بين قوسين إلا لمجرد تبيين الحقيقه ، ولو كنت فى حاجة إلى تطلب ضعفاء فى السند لذكرت أحوال محمد بن عثمان ومحمد بن عمران وخالد بن نافع وغيرهم ، لكن ما كنت فى حاجة إلى الكلام فى رجال السند مع ظهور أن بدعة القول بخلق القرآن نشأت بعد عهد حماد بن أبى سليمان بمدة كبيرة بحيث هبة الله الطبرى نفسه فى (شرح السنة) بحيث لا تتصور شهادة مثله فى مثل تلك التهمة ، ومع ذلك

التخليط الفاضح فى ادعاء أن أبا جعفر المنصور العباسى أصدر من المدينة أمراً إلى ابن أبى ليلى القاضى فى العراق فى عهد الدولة الأموية بتنفيذ ذلك الحكم ، وهذا حقا يزيد فى التندر به على تلك النادرة المعزوة إلى إمام جامع حمص فى كتب الأدب فيعلم من ذلك مبلغ يقظة الأستاذ المعلمى فى إعادة الحق إلى نصابه ، بتحقيقاته البديعة واتهاماته المبتكرة ، ثم يقول الأستاذ الناقد عند تحدثه عن محمد بن عمر ابن وايد بعد قبوله لتصحيحى اسم الجد مدعياً أنه الكندى لا التيمى : (.. وهذا لا يخفى على الكوثرى لكنه لم يجد فى هذا مغمزاً فعدل إلى التيمى المطعون فيه لحاجة الكوثرى إلى الطعن فى تلك الرواية ، والله المستعان على من كتب ليضل الناس على علم) فيا للعجب ! ! هل الكوثرى فى حاجة فى إسقاط تلك الرواية بعد أن نص على أنها رواية الكذاب بن الكذاب : محمد بن الحسين بن حميد بن الربيع . ومعه محمد بن عبيد الطنافسى الذى يقول فيه أحمد : إنه يخطىء ، ولا يرجع عن خطئه كما فى رواية ابن أبى حاتم ، ولكن المعلمى ممن يتوهم شيئاً ويلزم به صاحبه كحقيقة واقعية ، وهذا طراز فى النقاش ليس فى استطاعتى أن أساجله فيه ، وأما قوله فى محمد ابن سعيد بن سلم الباهلى فقول ليس معه ما يدعمه ، فليعد النظر مراراً فيما كتبناه هناك وليبحث جيداً عنه وعن أبيه سعيد بن سلم لئلا يقف منى موقف المتحكم الملزم بما لا يلزم ، وبعد أن ينضج عنده البحث فليتكلم عن علم ، وزعمه أنه لم يطعن فيه أحد شهادة على النفى ، وقد علم غيره ما جهله هو وذكره ، ولو قال : لم يوثقه أحد لكان أقرب للصواب فيكون أيضاً مردود الرواية .

وأما قول المعلق هنا (٣٨) : (ثبت عليه أنه يحرف الصحيح متعمداً فكيف لا يتعلق بخطأ يوافق هواه ويشفى غيظه ممن هدم صنمه) ففرية خرقاء ترتد إلى قائلها ، متى وأين ثبت تحريف الكوثرى لصحيح عن عمد ؟ ! وإنما

المحرف من ائتمن على النقد البرئ فتصرف فيه تغييراً وتبديلا وزيادة ونقصاً كما هو مشهود ، وكذلك صاحب الصنم هو الذى يسعى فى نسخ ونشر كتب تحدد إله العالمين وتصفه بالمكان والجلوس والمس والحركة مع تجويز استقراره على ظهر بعوضة إذا شاء فضلا عن العرش العظيم إلى غير ذلك مما هو مدون فى نقض الدارمى لإمام هذا المعلق ، فالصنم عند الحشوية هو الإمام الأعظم ، وهادمه هو سخيف من سخفاء الرواة هكذا نظر هؤلاء إلى فقيه الملة وأصحابه ، وهكذا يكشف أهل الضلال عما ينطوون عليه ليلقوا النكال الذى يستحقونه ، وأطمئن هؤلاء الأغبياء الطغام أن بين من تفقهوا على نور تأصيل هذا الإمام فى بلدان الإسلام فى كل دور رجالاً فى استطاعتهم متى شاءوا وقف هؤلاء عند حدهم ، بكشف الستار عن وجوه مغالطاتهم ، و برد الكيد إلى نحورهم ، بتوفيق الله عز وجل .

وأما إفادة الأستاذ اليمانى عن أن المراد بأبى شيخ هو محمد بن الحسين فأتقبلها شاكراً وداعياله بالمزيد ، مع الاحتفاظ بحقى فى رد انفراد الخطيب بتوثيقه لأن المتهم فى قضية لا يقبل له قول فى تلك القضية .

أما ابن حيويه الخزاز وأبو الحسن بن الرزاز فقد كنت ذكرت فى (٢١) من التأنيب من أحوالهما ما يغنى عن المعاودة إلى الكلام عنهما لكن الأستاذ الناقد يحب تشقيق الكلام وتصديق الأوهام فى أجلى المسائل ، وقد اعترف هنا أن الخزاز فيه تسامح فى الرواية وأنه يقرأ من كتب ليس فيه سماعه ، ومع هذا وذاك يقول إنه ثقة ، وتوثيق المتسامح فى الرواية والمسمع بكتاب غيره مما ليس فيه سماعه لتمشية ما عند مثل هذا الراوى المجازف من الأخبار الزائفة توثيق طريف اختص به خصوم أبى حنيفة لتوسيع دائرة المثالب التى يراد إلصاقها به ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ، وثقة الراوى بكتاب يعلم أنه ليس فيه سماعه ، بعيدة عن الاتزان فضلا

عن التعويل ، فلا يبنى على هذا الكلام المتهاتر المنهار غير سقوط الخبر وسقوط من يعول على مثله ، وقد نص الأزهرى وابن أبى الفوارس على أنه متساهل متسامح يحدث من غير أصله ومما ليس فيه سماعه ، فالأستاذ الناقد يتجلد فى وصف هذا الراوى المتسامح المسمع بغير كتابه مع خلوه من سماعه بالثقة ، وهذا باطل بالمرة كائنا من كان مصدر التوثيق ، ومن البعيد أن يكون من هذا شأنه واعياً لما يرويه للناس من الكتب الكبار لابن أبى خثيمة وغيره جزافا لا من أصل ، وأما كون ذلك الكتاب هو كتاب أبى الحسن الرزاز الذى كان يدخل ابنه فيه تسميعات طرية فباية أخرى تزيد الخزاز سقوطا وكذا الخطيب فيما روى عنه مباشرة ، فلابد فى نظر هذا الناقد من إبعاد هذا الرزاز من ساحة النقد حذراً من تضاعف الافتضاح فبدأ الناقد يبحث عن كل رزاز فى بغداد ليلقى بينهم من هو ثقة فى طبقة شيوخ الخزاز ، فوجد شخصين على هذا الوصف فحكم أن أحدهما هو المراد بأبى الحسن الرزاز فى الحكاية ، ليكون ثقة أخذ عن كتاب ثقة لكن لم يفكر الأستاذ أن رواية الخزاز لو كانت عن كتاب أحد شيوخه لكانت روايته عن أصل شيخه ، ولما كان يرمى بالتسامح ، وكان يتعين أن يذكر فى السند اسم شيخه الذى ناوله أصله مع أنه لا ذكر للرزاز مطلقاً فى طبقة شيوخ الخزاز فى أسانيد المثالب التى تولى كبرها الخزاز فى كتاب الخطيب ، وليس بمعقول أن يهمل التلميذ ذكر شيخه فى سند ما حمله وتلقاه بطريقه ، فتبين من ذلك أنه من غير شيوخه ؛ إما من أقرانه أو ممن هو أصغر منه ، والراوى كثيراً ما ينظر فى كتب أقرانه وكتب من هو أصغر منه ، وليس فى هذا عيب ، وإنما العيب كل العيب هو التسميع بما ليس فيه سماعه كما فعل الخزاز من كتب الرزاز الموصوفة فى التأنيب ، فقول الأستاذ اليمانى بعد هذا كله : إن على بن أحمد الرزاز أصغر من الخزاز بأربعين سنة فيبعد

جداً أن يحتاج فى قراءة حديثه إلى كتاب هذا المتأخر وأيضا فلا يعرف بين الرجلين علاقة) يكون قولا مرسلا على عواهنه بعد العلم بأنهما من أهل بغداد وعاشا هناك متعاصرين سبعا وأربعين سنة ، فماذا كان يمنع هذا من الاجتماع بذاك ؟ وكلاهما من حملة الرواية ومن بلد واحد ، فجزم الناقد بأن الرزاز هو على بن موسى من شيوخ الخزاز يكون تقولا قبيحا بعيداً عن الحقيقة لما سبق ، والمتعين بعد البحث من كل ناحية أن المراد هو أبو الحسن على بن أحمد بن الطيب الرزاز الذى كان يدخل ابنه فى أصول أبيه تسميعات طرية ، وهو الذى كان الخزاز يسمع بكتبه وهو يعلم أنه ليس فيها سماعه ، وهذا هو الموثق ! عند الأستاذ الناقد ! نسأل الله السلامة .

وهنا انتهت توهمات الناقد إحلال ضعفاء مقام ثقات عمداً ففيما ذكرناه كشف الحقيقة عند من أنصف ، وأما تحدثه عن اتخاذ مالا دخل له فى عد الرجل مجروحا وسيلة للتجريح وضربه لذلك الأمثال ، فلم أر فيما تحدث عنه بذكر جرير ابن عبد الحميد وأبى عوانة وأبى أحمد الفراء شيئاً يجدر التحدث عنه ، وقوله فى عبد الله بن السقاء ليس بشىء لأن مطاردة محدث لأجل حديث حدثه ليست من شأن العامة بل من شأن العلماء وربما يؤيدهم العامة وعد ذلك من حماقة العامة غير وجيه ، وبعد أن قلنا فى الفصل السابق إن التوثيق المقبول هو الصادر من أهله ، وإنه الذى يرفع الراوى فوق أن يكون مجهول الصفة لا داعى إلى التحدث عن قول أبى الشيخ فى سالم بن عصام إنه صدوق ، على أن ذلك دون قولهم إنه ثقة فيصلح للاعتبار به إن كان هذا الوصف صدر من أهله فى موضع لا يصادم الحق ، وأما هنا فالمتن : (أبو حنيفة ضال مضل) والسند فيه أبو نعيم وأبو الشيخ وسلمة ورستة وموسى بن المساور ، وأحوال جميع هؤلاء تدل على سقوط الخبر وتكلمت عن جميع هؤلاء فى التأنيب ، وأهمل الناقد ذكر كل هذا وأخذ يتبجح عن سد .

فما فائدة ذلك بعدأن أصبح المتن ظاهر السقوط من كل جهة . فإذا قيل (أبو حنيفة ضال مضل) يجد هذا القول ترحيبا به عند الأستاذ الناقد ، وهذا هو سر تقعيده القواعد وتنويعه الجرائم فى سبيل هدم ذلك الجبل الشامخ الذى يفقد رأسه من يناطحه .

و إن كان إصرار الهيثم بن خلف الدورى على خطأ فى اسم غير مضر فلماذا هذا التهويل والتضليل فى ذكر الكوثرى أسماء بدل أسماء على فرض أنه مخطئ فى ذلك . مع أن الكوثرى غير مخطئ فيها ، والدورى معاتب فيما فعل عند أهل النقد على خلاف أمل ذلك الناقد المكشوف الغاية .

وأما كلامه فيما نقلناه عن سليمان بن حرب من قوله فى جرير بن عبد الحميد والوضاح فلا داعى فى نظرى لإطالة الكلام فيه ، وقول سليمان فيهما معروف ، وكون أبى عوانة أميا يستعين بمن يكتب له من المشهور عند أهل العلم ، وكنت جعلت قول على بن عاصم فيه إسرافا فى القول حيث قلت فى (٩٢): وأما أبو عوانة فهو ممن ينتقى من أحاديثه عند الجماعة لكن يقول عنه على بن عاصم : وضاع ذلك العبد . وفيه إسراف لكن كان يقرأ ولا يكتب . وكان كتابه صحيحا فإذا روى من حفظه غلط كما كان يغلط إذا قرأ من كتب الناس . وقد وقع فى تهذيب التهذيب : وضاع ذلك العبد . ويعد الأستاذ الناقد ذلك محرفا من (وضاح ذلك عبد) ، وهو أدرى بزملائه فى دار التصحيح إن كان يقع منهم مثل هذا التحريف الفظيع ، والذى أراه أن قول الأستاذ فى دائرة الاحتمال لكن قول على بن عاصم فى جرير بن عبد الحميد : (ذاك الصبى) وفى شعبة : (ذاك المسكين) من غير ذكر اسميهما يبعد احتمال ذكر اسم أبى عوانة ، على أن الغالب فى اسمه (الوضاح) [illegible] يكون على بن عاصم أسرف فى رميه أبا عوانة بالوضع والكذب .

وكثيراً ما يقع مثل هـذا الترامى بين الرواة عند ثوران النفوس إلا من عصمه الله ولا أحب أن أذكر نماذج من ذلك حذراً من إيذاء رجال أفضوا إلى ماعملوا من غير حاجة علمية ، ولا يبرئ أحد أبا عوانة من الغلط ، والغلط وضع للخطأ موضع الصواب ، وكذب لمخالفته للواقع ، لـكن المسقط للراوى هو التعمد ، ولا يرمى أبو عوانة بذلك ، وكنت أردت بقولى (وفيه إسراف) بيان ذلك ، فتبين بهذا وجوب الاحتياط فيما هو مظنة أن يغلط فيه حيثما يروى من غير كتابه .

وهذا كلام بين واضح مدعم بنصوص أهل الشأن ، فلا يكون لإطالة الناقد الـكلام فى جرير وأبى عوانة وجها غير مجرد التحامل على هذا العاجز ، فلا أجاريه فى إطالة الـكلام من غير داع .

ومن عجيب صنع الأستاذ اليمانى حذف متن الخبر الساقط الظاهر السقوط واقتطاع كلمة من الـكلام على رجاله القاضى عليهم ، لئلا ينتبه السامع إلى ما حواه المتن من البهت الشنيع الذى يحكم السامع بمجرد سماعه أنه كذب فظيع ، قبل أن يعلم أحوال رجاله فمن نماذج ذلك ما اقتطعه من كلامى فى رجال خبر يعزى إلى الثورى : (أن أبا حنيفة ضال مضل) بسند يسوقه الخطيب قائلا : أخبرنا أبو نعيم الحافظ حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان حدثنا سالم بن عصام حدثنا رسته عن موسى بن المساور قال سمعت جبر ــ وهو عصام بن يزيد الاصبهانى ــ يقول : سمعت سفيان الثورى يقول : أبو حنيفة ضال مضل اه .

وقلت فى الـكلام على رجاله : أبو نعيم على تعصبه متكلم فيه ، وقد سبق ، وكذا شيخه أبو الشيخ ضعفه بلديه أبو أحمد العسال ، وسالم بن عصام صاحب غرائب ورسته اصبهانى ميلاده سنة ١٨٨هـ فى رواية ابن أخيه قبل وفاة ابن مهدى بعشر سنين فقط ويستبعد أن يجهل ابن أخيه ميلاده ، ومع هـذا تقول إنه روى

عن ابن مهدى ثلاثين ألف حديث ، فلا يتصور هـذا الإكثار لابن عشر ، وقد انفرد ابن ماجه بالرواية عنه من بين أصحاب الـكتب الستة ، قال أبو موسى المدينى تكلم فيه أبو مسعود (أحمد بن الفرات الرازى) . وكتب إلى أهل الرى ينهاهم عن الرواية عنه ، ويكثر الغريب فى حديثه . وموسى بن المساور أبو الهيثم الضبى من رجال الحلية مجهول الحال إلى آخر ما ذكرته هناك فى (١٣٦) مما يقضى على تلك الرواية الـكاذبة ، لما فى رجال السند من الـكلام ، ولمنافاة هذا الخبر لما صح عن الثورى من الثناء البالغ على أبى حنيفة ، وقد ذكرت فى التأنيب (١٧) الطعون الواردة فى أبى نعيم الاصبهانى من ذكره الخبر الكاذب ، وهو يعلم أن الراوى كذاب ، من غير تنبيه على ذلك كما فعل فى الحلية بروايته رحلة مكذوبة بطريق أحمد بن موسى النجار عن عبد الله بن محمد البلوى . وكلاهما كذاب . وهو يعلم ذلك . وما يترتب على ذلك من الفتن عند من يصدق الرحلة الكاذبة ، ومن عيوبه المشهورة عنـد النقاد إجراؤه ما تحمله بالإجازة أو السماع فى مجرى واحد . هذا . ثم إن الأستاذ المعلمى قد اقتطع من كلامى الواسع فى رجال هـذا الخبر قولى : (سالم بن عصام صاحب غرائب) ، ليلقى فى روع السامع أنه لا مأخذ فى الخبر غير إغراب سالم ، والإغراب ليس بضار فى نقد هذا الأستاذ المنافح ، مع أنه يغلب إطلاق هذا فى كلام أبى الشيخ وأبى نعيم على الأخبار الساقطة المنكرة ، وذكرت هذا هنا ليكون نموذجا لطريقته فى النقد ، لا لأسايره فى الـكلام عن كل صغير وكبير من غير حجة فيمن أثبتنا قول أهل النقد فيهم مع تثبيت أن توثيق ابن حبان على طريقته فى توثيق المجاهيل لا يرفع الراوى من درجة كونه مجهول الحال . وأن توثيق الخطيب لرجال من رواة المثالب لا يلتفت إليه حيث لا احتجاج فى قضية بمن هو متهم فيه

فأوصى القارئ الكريم أن يراجع الأصل من التأنيب ، فى مواضع نقده ، ليقف على جلية أمر هذا الناقد المتكلف ، المنافح عن عقيدة التشبيه ، المنابذ لقادة الأمة فى التنزيه ، المعادى لأبى حنيفة وأصحابه فى فقههم الناضج وعقيدتهم السليمة . وتعو له على تهذيب تاريخ ابن عساكر لعبد القادر بن بدران فى السافرى أسفر عن توافقهما فى المذهب والمشرب ، وهو الذى يذكر فى مدخله عن الإمام أحمد أنه قال (إن موسى كلمه الله من فيه) ـ عند ذكر الاصطخرى نقلا من طبقات ابن أبى يعلى ـ تعالى الله عن إفك الأفاكين ، والإمام أحمد برئ حتما من هذا القول الشنيع ، فليسائل الأستاذ الناقد علماء الشام عن مبلغ أمانة ابن بدران فى التصحيح والتهذيب ، ولم يكن السافرى الاداعراً سافر الوجه أصبحت الدعاة خلقا فيه وملكة عنده رغم أنف هذا الناقد الذى يرى تبرئة ساحته ليجعل أبا حنيفة الإمام الأعظم ضالا مضلا وصاحبه أبا يوسف فاسقا من الفاسقين . وأصحاب أبى حنيفة أشبه الناس بالنصارى ، وهذا الهراء وحده يسقط من روى هذا الفحش مصدقا له ، وكفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع ، فضلا عن اختلاق الأكاذيب .

وحكاية ابن أبى حاتم عن أبيه أنه صدوق على مصطلحه فى مقدمة الجرح والتعديل أنه يكتب حديثه للنظر ليس إلا ، وهو على كل حال ممن لم يدرس أبو حاتم أحواله كما ينبغى لتباعد داريهما ، راجع (١٣٦) من التأنيب ، وصاحب الطليعة يأبى سماع مثل ذلك الفحش فيدافع عن أناس هالكين أبانت فاحش كلامهم فى أبى حنيفة عند المغفلين ، غير حاسب حساب من لديه من رقيب عتيد ؛ يحفظ أعماله ، ويتعقب أقواله ، نسأل الله الصون من الزلل . ومن عجائب صنع هذا الباحث أيضا رميه إياى بأخص أوصافه من دعوى التصحيف فى ذكر موقفه من الروايات فيجعل عبد الله بن عثمان بن الرماح البجلى فى سند الخطيب ـ فى صدد

رمى أبي حنيفة بأنه يقول بفناء الجنة والنار مع تواتر خلافه عنه ـ عبد الله ابن عمر متزيداً فى نسبه ما شاء من الأسماء ومبدلا عثمان بعمر ايلقى فى روع السامع أن هذا الراوى حنفى يقبل قوله عند أصحاب أبي حنيفة فيلصق بالامام هــــذا الاتهام بل ابن عمر هذا أيضا مجهول الصفة فلاينا هض خبره ماتواتر عن أبيحنيفة وصاحبه أبي مطيع فى إكفار من يقول بفنائهما راجع (٧٣) من التأنيب ؛ ومن ذلك أيضا قول الأستاذ إن (أضاع) فى شعر عبد الصمد بن المعذل محرف من (أطاع) فى قوله فى هجو أخيه : (أضاع الفريضة والسنة) وهذا تمحل ، ولو كان مراده هذا لقال : (أقام الفريضة والسنة) لا (أطاع) ، وإنما الطاعة لله ولرسوله لا للعمل ، وهذا ظاهر ، ثم مزاعمه فيما ذكرناه فى تصحيف الخطيب للفظ (البتى) إلى (النبي) من رواية تعيد الحق إلى نصابه ، ومحاولته تكذيب ما رويناه فىذلك بطريق السمعانى فمن طرائف صنعه فى تكذيب أى خبر إذا لم يعجبه ، فلست أطيل الكلام معه هنا لظهور التصحيف فى الرواية بما ذكرناه من الحجج هناك (٨٧) ، ودعوى حصول تحريف للنصوص منى بهت محض ، على أن الذاكرة قد تخون فى استذكار المعنى الحرفى فقول القائل : (كأنه ضعفه) . لا يفرق كثيراً من قوله (ضعفه) لكون الحكم على الأحاديث بالصحة أو الضعف ، وعلى الرجال بالثقة أو الضعف ـ فى أخبار الآحاد ـ مبنيا على ما يبدو للناقد لا على ما فى نفس الأمر ، فظهر أن ذلك عبارة عن غلبة الظن فيما لا يقين فيه ، وسبق أن نقلنا عن أحمد فى الرمادى (كأنه يغير الألفاظ) وقد بنى عليه الذم الشديد باعتبار أن ظن الناظر ملزم ، وقولى فى مؤمل الذى اتخذه الناقد وسيلة تشنيع على هو : (مؤمل إن كان بن إهاب فقد ضعفه ابن معين على ما حكاه الخطيب ، وإن كان ابن اسماعيل كما صرح به فى بعض الطرق فهو متروك الحديث عند البخارى ؛ وليس فى هذه الطبقة

مؤمل سواهما) . وهذا ليس ببعيد من قول إبراهيم بن جنيد الذى حكاه عن ابن معين وهو (فكأنه ضعفه) ، والذاكرة قد تخون ، فلا يجوز أن يرمى أحد بتعمد التحريف فى مثل هذا الأمر خاصة فيما يذكر عرضا من غير استناد كبير إليه ، لأن المرجح هنا كون مؤمل هو ابن اسماعيل فيكون متروك الحديث، ولاسيما أن نقد أساطير استتابة أبى حنيفة من كفر أو زندقة أو بدعة غير منحصر فى مؤمل و بسط ذلك فى التأنيب (٦٥) . والواقع أن من يسعى فى تقوية روايات استتابة أبى حنيفة من الكفر والزندقة لا يستحق أن يخاطب و يلتفت إلى كلامه ، لأنه ربما يكون ممن لا يعلم ما هو الكفر وما هى الزندقة أو البدعة ؟ كهؤلاء المتقولين الذين يرمون أئمة الإسلام بالكفر والزندقة بأيسر سبب يعلو على مداركهم ، ولم يسأم الأستاذ الناقد من سرد أسماء رجال اقتصرت أنا على ذكر موضع الحاجة من تراجمهم محاولا بذلك أن يرمينى بالتغيير والتبديل ، مع أن قدر ما نقله عنى فى صلب رده من النصوص يكذبه أوضح تكذيب ، فضلا عما أهمل ذكره من كلامى فى الموضوع ، وللأمانة معيار خاص عنده ، وسبق أن قلت إن كلام ابن أبى حاتم فى راو (إنه صدوق) لا يبرر الاحتجاج به قبل البحث عما إذا كان له متابع أم لا ، بل هو دون قوله (إنه ثقة) ، فى اصطلاحه المسجل فى أول كتابه ، ككل اصطلاحه ، على أن الاعتداد بمثل تلك الكلمات إنما هو عند صدورها من أهل الشأن ، لأن فاقد الشىء لا يعطيه ، ومن الغريب أيضا أن لا يبالى الأستاذ الناقد برمى مثل أبى يعلى الموصلى لراو بشهادة الزور ، وأين هذا من التنافس بين الأقران ؟! .

وكم قلت إنى لا أستوفى كلام المتكلمين فى راو طعن فيمن ثبتت إمامته وتواترت أمانته بل أقتصر على موضع الحاجة فى النقد فى خبر من نعت ، فى سنده أناس هلكى ، لأن المستفيض أو المتواتر لا يناهضه خبر فى روايته مغامز ،

فمحمد بن فضيل لا يحتج به بعضهم فى رواية ابن سعد ، وهذا صحيح ، ولست بملزم بأن أنقل كل ما قيل فيه فى خبر ظاهر البطلان ، وادعاء تبرئة مثله من بغض عثمان رضى الله عنه يحتاج إلى رواية من غير مثل أبى هشام الرفاعى المعروف ، وإن لم أتعرض لهذا الاتهام فى التأنيب ، ولا أرى باعثاً لإطالة الكلام فى ثعلبة القاضى بعد أن سجلت فى التأنيب تضعيفه من كتاب الضعفاء لابن الجوزى وغيره والكلام فى سليم بن عيسى أشهر من أن يحتاج إلى إطالة الكلام فيه ، وسبق قولى فى عبد الله بن محمود المروزى ، فلا أعيد الكلام فيه وأما محمد بن مسلمة فهو المخزومى حقاً وفاتنى ذكره أثناء طبع التأنيب وكنت استدركته بعد الطبع على نسختى ، ونقل منى ذلك أصحابى إذ ذاك ونص ماسطرته فى نسختى إكمالة للتعليق: (وأما إن كان المخزومى فقد رُوى عن أبى حاتم توثيقه لكن تحاماه أصحاب الأصول الستة وأحمد) وكفى فى رد قوله ما ذكرته فى (١٠٣) من التأنيب ، لأن عد قول أبى حنيفة من قول الدجال وصرف الحديث إلى هذا المعنى تجرؤ على الحديث واستطالة على الواقع ، فلا نتطلب ميزاناً لتعرف قيمة مروياته غير قوله المحكى عند الخطيب . وقاعدة ابن خزيمة وصاحبه ابن حبان فى عد من لم يرو جرح فيه فى الطبقات الأول ثقة طريقة يسلكها من يسلكها ويتنكبها من يتنكبها ، وهذا هو وجه عد المستورين ثقات عند بعض الأئمة ، ولكن هؤلاء مجاهيل عند الجمهور فلا داعى إلى الدندنة حول ذلك ، وللشوكانى شيخ اللامذهبية جزء يتساهل فيه فى الرواية عن المجاهيل ، ولا يخفى هذا على بديه النقد ، ولقد أحسن الناقد صنعاً حيث نقل بعض كلامى فى حديث العرنيين بنصه وهو يناقض تجنيه على بأنى أطعن فى بعض الصحابة رضى الله عنهم فأين الطعن فى هذا المنقول ؟ وبسط القول فى تخير أبى حنيفة بعض روايات الصحابة على بعضها فى التأنيب والنكت الطريفة ، ورأيه

فى ذلك من أمتن الآراء وليس فى هذا أدنى مساس بالصحابة أنفسهم ، وعد ذلك طعنا تقول قبيح ، والمقارنة بين الأقوال والروايات والموازنة بينها شأن من اتسع أفقه فى العلم كما أن محاولة رمى المرء بالطعن فى الصحابة والتابعين وأئمة الدين من فقهاء ومحدثين مؤتمنين بمجرد المحاكمة بين الآراء تهور أهل النزق .

وقول الأستاذ الناقد فى مفتتح كتابه : (وتعدى إلى الطعن فى أنس بن مالك رضى الله عنه ، وفى هشام بن عروة .. حتى نسب إليه الكذب) من أدل دليل على أنه لا يتحاشى من أن ينطق بأبرز الافتراءات فى الدعاية لما هو بسبيله ، لأنه باطل بطلانا ظاهراً بشقيه كباقى افتراءاته ، لأن غاية ما عملت فى أنس رضى الله عنه هو نقل مذهب أبى حنيفة فى تخير بعض رواياته ، وهذا مشهور فى كتب أهل العلم ، وليس فى هذا مساس بأنس ، وكبر السن أمر لامهرب منه لمن يعيش وهو من نعم الله تعالى وإن كان لا يدع حافظة المرء على ما كانت عليه فى عهد الشباب ، وأما عملى فى هشام بن عروة فهو عبارة عن نقل ما أخرجه الخطيب — قدوة الأستاذ الناقد — فى (١ — ٢٢٣) بطريق الساجى من قول مالك فيه بعد رحيله إلى العراق ، حيث قلت فى (٩٨) من التأنيب : (روى الساجى عن أحمد بن محمد البغدادى عن ابراهيم بن المنذر عن محمد بن فليح قال لى قال لى مالك بن أنس : هشام بن عروة كذاب .

قال : فسألت يحيى بن معين ، قال : عسى أراد فى الكلام ، فأما فى الحديث فهو ثقة) . أهذا قولى أم قول مالك ؟ !! أيها الباهت الأفوك ! . ثم علقت هناك على هذه الرواية بقولى : (وهذا من انفرادات الساجى ، وأهل العلم قد تبدر منهم بادرة فيتكلمون فى أقرانهم بما لا يقبل ، فلا يتخذ ذلك حجة ، على أن ما يؤخذ به هشام بعد رحيله إلى العراق أمور تتعلق بالضبط فى التحقيق ، وإلا فمالك

أخرج عنه فى الموطأ) . أهكذا يكون الطعن فى هشام ونسبة الكذب إليه ؟ !!
يا معلى ! وباقى افتراءاته بالطعن فى الأئمة من هذا القبيل ، فليحذر القارئ
الكريم من أن يغتر بكلامه من غير رجوع إلى البحث فى التأنيب ، لئلا يشاركه فى
الإثم ، ور بما يعاد طبع التأنيب مع زيادات ، ليكون بمتناول يد كل باحث ، وقد نفدت
نسخه من مدة بعيدة ، والله سبحانه هو الميسر ، والتأنيب — بحمد الله سبحانه —
من الكتب التى لا تحوج إلى سواها فى الذب عنها ، لكون مسائله محبوكة
الأطراف بأدلة ناهضة لا ينالها بسوء تشغيب المشاغبين ، والله ولى الهداية . و بسط
الكلام فى الرد على الأستاذ الناقد فى جميع تقولاته إنما يكون بعد استنفاد ما فى
جعبته من السهام الطائشة ولنا عود فعود إلى الموضوع إذا لزم بتوفيق الله جل شأنه .

ثم إن من مذهب أبى حنيفة أيضا كما يقول ابن رجب فى شرح علل
الترمذى (رد الزائد إلى الناقص فى الحديث متنا وسنداً) . وهذا احتياط بالغ فى
دين الله يرضاه من يرضاه و ينبذه من ينبذه ، فعلى هذا إذا ورد حديثان صحيحان
فى أحدهما زيادة اسم شخص بين رجال السند أو زيادة لفظ فى المتن وفى الآخر
نقصهما فأبو حنيفة يرد الزائد إلى الناقص فى المتن والسند ، فإذا استلزم نقص الاسم
انقطاعا يعد الخبر منقطعا ، قبله أم لم يقبله ، باعتبار ما احتف به من القرائن والدلائل
وكذا يفعل عند نقص لفظ من المتن فإذا وقع فى رواية عن راوٍ لفظ (عن)
أو (سمعت) فى طريقين ، يجعل الناقص هو المتعين فيعد ذلك عنعنة لا سماعا فمثلا :
إذا ورد فى رواية حميد فى طريقٍ (عن) وفى طريقٍ (سمعت) يعد رواية حُميد
هذه (عنعنة) ، هذا هو مذهب أبى حنيفة فى مثل هذه المواضع فهل عرفت الآن
يا معلى مذهب الإمام نتقلع عن نسج الأوهام ؟ وأما قبول المرسل أو المقطوع
فموضوع آخر شرحه أهل الشأن فى موضعه .

وكم قلت : إن ذكر ابن حبان لمجهول فى ثقاته لا يرفعه من مرتبة المستور ، فلا تبقى حاجة إلى التحدث عن مثل اسماعيل بن حمدويه . وأما قولى فى محمد بن على بن الحسن بن شقيق : ليس (بذاك القوى) فيكفى فى اثباته إعراض الشيخين عن إخراج حديثه فى الصحيح مع روايتهما عنه فى خارج الصحيح ، وأما أحمد ابن الفضل بن خزيمة ، وعلى بن محمد بن مهران السواق ، وجعفر بن شاكر ، وجعفر بن محمد الصيدلى ففى حاجة إلى توثيق من سوى الخطيب وأمثاله من المتهمين فى القضية ليلتفت إليه ، على أن السواق غير الصواف ، وكنت أظن أنه لا يخفى على مثل الأستاذ الناقد أنه لا يقبل قول المرء فى قضية هو متهم فيها ، فإذا هو يكثر الاحتجاج بقوله وقول أمثاله مع أنهم متهمون فيما نحن متناقشون فيه ، وهذا غريب من مثله ، ولا سيما بعد ثبوت التهمة ثبوتاً لا مهرب من تصديقه بما أوضحناه فى التأنيب . وأما قوله فى (أبى عمار المروزى) فناشىء من إغفاله النظر فى جدول الإصلاح ، وهو مضروب عليه هناك لكونه سهواً مطبعياً . ولا أزيد التحدث عن ابن المنادى فإنه معروف ، وأما عبد الرحمن بن داود بن منصور فليس فى تاريخ أبى نعيم توثيقه على أن فاقد الشىء لا يعطيه فلا ينفع هنا لا توثيق أبى نعيم ، ولا توثيق أبى الشيخ ، فكأن هذه القاعدة غير ممحصة فى نظر الناقد . وأما ابراهيم ابن سعيد الجوهرى فذكرته فى سند فيه ابن رزقويه وابن سلم بقولى :

(فيه هما وابراهيم الجوهرى الذى رماه الحافظ حجاج بن الشاعر (شيخ مسلم) بأنه كان يتلقى وهو نائم . ولفظ ابن الشاعر (رأيت ابراهيم بن سعيد عند أبى نعيم (الفضل) وأبو نعيم يقرأ وهو نائم ـ وكان الحجاج يقع فيه) . وهو معنى قولى ، لأنه لا يتصور من مثل ابن الشاعر أن يقع فيه ، من غير أن يتكرر ذلك منه ، وإن كان لا بد من رد هذه الحكاية فليتذرع بكون راويها عن ابن الشاعر هو عبد الرحمن بن يوسف الرافضى كما قال ابن حجر ، ومن عنده ما يزيد على عشرين مجلداً فى أحاديث

أبى بكر رضى الله عنه يجب أن يذب عنه . وأما أحمد بن كامل ، فأرى قول الذهبى فيه فى الميزان كافياً فى معرفة حا : (لينه الدارقطنى وقال : كان متساهلا ومشاه غيره وكان من أوعية العلم ، كان يعتمد على حفظه فيهم) .

وفى اللسان (١ ــ ٢٠٩) وقال حمزة عن الدار قطنى : (كان متساهلا ربما حدث من حفظه بما ليس فى كتابه وأهلكه العجب). والمعنى واحد لأن الاعتماد على الحفظ مما يوقع فى الوهم ، وليس عادة النقاد أن يقولوا عما ليس فى كتاب الراوى إنه عنده ، فلا يكون سقوط (فى كتابه) مغيراً للمعنى ولامقصوداً ، فهم الناقد أم لم يفهم .

ولم يذكر الناقد فى النجاد وعبد الله بن المدينى والحكيمى والعدنى مايوجب إعادة الكلام فيهم كما سبق ، وأما الأصمعى فقد وثقه غير واحد فى الحديث ، وأما أخباره ونوادره المدونة فى الكتب ففيها كثير مما يرفض ، وقد قال ابن أخى الأصمعى عبد الرحمن بن عبد الله وقد سئل عن عمه : هو جالس يكذب على العرب وقال أبو رياش : كان الأصمعى مع نصبه كذابا . وقال : سأله الرشيد لم قطع على يد جدك أصمع ؟ فقال ظلماً يا أمير المؤمنين وكذب عدو الله . إنما قطعه فى سرقة . وأطال أبو القاسم على بن حمزة البصرى فى كتاب التنبيهات على أغاليط الرواة الكلام فيه ، ومما قال فيه : كان مجبراً شديد البغض لعلى كرم الله وجهه ، وتكذيبه ليس بمنحصر فيما يروى عن أبى زيد الأنصارى .

وهنا انتهى ما أردت تحريره فى هذه المرة بتوفيق الله عز وجل يوم الاثنين ١٢ ربيع الآخر سنة ١٣٦٩هـ ، بالقاهرة المحروسة حرسها الله ، ووفقنى لما فيه رضاه وأنا الفقير إلى الله سبحانه محمد زاهد بن الحسن بن على الكوثرى غفر الله لى ولوالدى ولمشايخى ولسائر المسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

فهرس « الترحيب »

———

صوبت : ٣٠ ـ ١ : أنه ممن .